دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

المرأة

حقوقها وواجباتها

في الحياة الإجتماعية والدينية في الكنيسة الأولى

الأب متى المسكين


٤٤
الثمن ٣ جنيهات

كتاب: المرأة – حقوقها وواجباتها
في الحياة الإجتماعية والدينية في الكنيسة الأولى.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ١٩٨٢
الطبعة الثانية: ١٩٩٦
الطبعة الثالثة: ٢٠٠٦
مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادى النطرون.
ص.ب ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٨٠٥ / ٨٢
رقم الإيداع الدولي: ISBN 977-7320-69-8

يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا – تليفون ٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين – محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠

أو من: مكتبة الدير

أو من خلال الموقع على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

المحتوى

(١)



القديسة العذراء مريم والدة الإله.

مقدمـــة

للإنسان خلقتان:

الخلقة الأولى: «خلق الله الإنسان على صورته، **على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم؛ وباركهم** الله وقال لهم **أثمروا، وأكثروا، واملأوا** الأرض، **وأخضعوها، وتسلّطوا** على سمك البحر وعلى كل حيوان يدبّ على الأرض... ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن **جداً**».

(تك ١: ٢٧ــ٣٠).

«وجبل الرب الإله آدم من تراب الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية». (تك ٢: ٧).

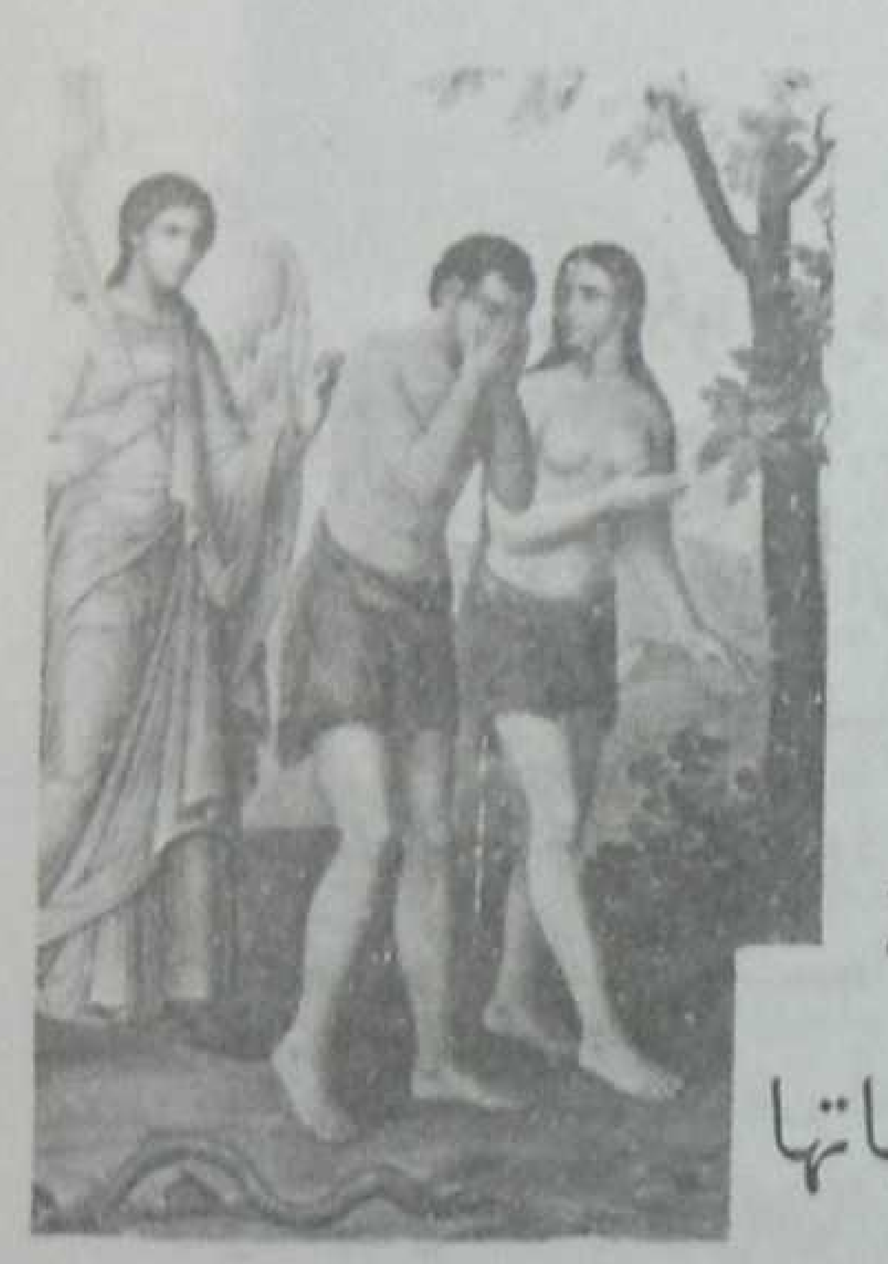
الخلقة الثانية: «إن كان أحد لا يولد من فوق، لا يقدر أن يرى ملكوت الله. قال له نيقوديموس كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ؟ ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية و يولد؟ أجاب يسوع الحق الحق أقول لك إن كان أحد **لا يولد من الماء والروح** لا يقدر أن يدخل ملكوت الله.

المولود من الجسد جسد هو! والمولود من الروح هو روح!»

(يو ٣: ٣ــ٦).

الخلقة الأولى جسدية، وفيها التنوع الجنسي واضح بين الذكر والأنثى، ولكن ليس من تمايز بينهما على الإطلاق، لأن كليهما يعبّران عن صورة الله.

الخلقة الثانية ليس فيها تنوع جنسي بين الذكر والأنثى، لأنها خلقة روحية صرف: «ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» (غل ٣: ٢٨).



(٢)

الفصل الأول

الخلقة الأولى الجسدية

مؤهلاتها وحقوقها وواجباتها

إن الأمر الصادر من الله لآدم وحواء معاً، المشفوع بالبركة: «ذكراً وأنثى خلقهم، وباركهم وقال لهم **أثمروا(*)، وأكثروا، واملأوا الأرض، وأخضعوها، وتسلَّطوا...**» ـــ يتضمن أن البركة متساوية تماماً للذكر والأنثى بدون تمييز، بل هي في الحقيقة بركة واحدة مقتسمة بينهما بالتساوي ينالانها معاً طالما هما في أُلفة أو في اتحاد.

ثم نتج عن البركة الواحدة المتساوية، مسئولية واحدة متساوية غير مجزأة وبلا تفاوت؛ فهما يعملان معاً بمقتضى هذه البركة:

أ ـــ **«أثمروا»**: واضح هنا أن الثمر يعني النسل، حيث مسئولية الإنسال متساوية بينهما، كما أن أعباءها مقسَّمة بينهما بالتساوي أيضاً.

ب ـــ **«وأكثروا»**: هذا يعني أن نسلهما أُعطي نفس البركة التي لهما ليثمروا أيضاً، حيث تأتي الكثرة التي لا تستنفد البركة أبداً، بل ستظل البركة هي المصدر الثابت لدوام النسل والكثرة.

---

(١) شرح الصور في أول الفصول وآخرها: إرجع إلى صفحة ٩١ من الكتاب.

(*) يلاحظ أن الله يخاطب آدم وحواء ـــ وهما إثنان فقط ـــ بلغة الجمع تعبيراً عميقاً عن حضور صورة البشرية كلها في فكر الله ورؤيته للعالم في شخص آدم وحواء. وبهذا يتسحب كل ما قيل لآدم وحواء إلى كل البشرية في كل العصور وإلى منتهى الدهور، أي إلى كل رجل وكل امرأة في كل الظروف والأحوال. ويمكننا الآن أن نتصور مدى قصور المعنى وانغلاقه لو أن كلام الله جاء لهما بصيغة المثنى، ثم أليس هذا يدخل في صميم موضوعنا أن التساوي بين الرجل والمرأة خلق فيهما ليظل قائماً دائماً؟

جـ ـ **«واملأوا الأرض»**: وهنا تبدو معالم مفهوم وحدود الكثرة، حيث ستنتهي الكثرة حتماً بملء الأرض، أي أن غاية البركة ومنتهاها هي الملء، إذ تتضمن كلمة «املأوا» الأرض مفهوم الإنسجام والتآلف والإتحاد، إنما في صورته وغايته النهائية، حتى لو اعتراه في الطريق انقسام وتخالف بل قتال وحروب بين بني الإنسان متعدّد الأشكال والصفات والمميزات؛ لأن أمر الله بملء الأرض يمتنع تحقيقه أو صدقه إلا إذا انتهى بتآلف الإنسان وانسجامه، الأمر الذي يعمل له الإنسان في كل العصور ويحققه ببطء شديد، بالرغم من عنف الصراع الذي ينتهي دائماً بالإرتقاء والتقارب في مميزات الإنسان وصفاته.

د ـ **«وأخضعوها»**: الأمر هنا أمر إلهي مشفوع بالبركة، وهو ملقى على عاتق الرجل والمرأة معاً، و بالتساوي دون تمييز أو تفرقة؛ حيث مضمون كلمة «أخضعوها» يشمل بكل وضوح النصرة الأكيدة في صراع الإنسان ضد كل القوى الطبيعية المضادة التي على الأرض، بل و يتعدّاها حتماً إلى كل ما ينشأ مستقبلاً من قوى أخرى مضادة للإنسان.

هنا عدم تمييز الرجل عن المرأة في عملية إخضاع القوى المضادة ـ مهما كان مصدرها ومهما كانت صعوبتها ـ يتضمن حقيقة غاية في الخطورة، وهي أن ضمان النصرة في إخضاع الإنسان لأية قوى مضادة أو معاكسة، يتوقف على التعاون، بل على الإنسجام، بل على الإتحاد، بين الرجل والمرأة.

وحتى لو أخذنا في الإعتبار، أن الرجل غالباً ما يكون هو الأكثر كفاءة في مقاومة القوى الطبيعية المعاكسة، من جهة الأداء، إلا أن دور المرأة سيظل مساو ياً تماماً لدور الرجل، من حيث المسئولية حسب أمر الله!! لأن إنسجام الفكر وانسجام الإرادة والمشيئة بين الرجل والمرأة هو بالدرجة الأولى العامل الحاسم الذي يمهّد لتدخُّل الله لإخضاع الطبيعة، وليست القوة التي انتقلت من ذراع الرجل إلى تروس الماكينات، فما

أرخص القوة الآن.

هـ ـ **«وتسلَّطوا»**: هنا السلطان الذي أُعطي للرجل والمرأة، أُعطي لهما أيضاً بالسوية، كسلطان واحد غير مجزأ على كل ما في السماء والأرض والبحر، كناية عن التفوق المطلق للإنسان على كل الخليقة، إنما بشرط المسئولية المتساو ية التي تنشىء بالتالي ربحاً أو تحصيلاً متساو ياً لكل من الرجل والمرأة. وهكذا يتضح أن حقوق كل من الرجل والمرأة يقوم أساساً على التساوي المسبق، في سلطان واحد موهوب لهما معاً.

لذلك لا يمكن قصر أي تفوق في السلطان على أي من الرجل والمرأة ـ في أي ميدان من الميادين التي أُعطي للإنسان أن يتسلَّط عليها ـ بل إن ضمان نجاح الممارسة في توكيد سلطان الإنسان على كل مناحي الحياة، يتطلب بالدرجة الأولى التفهُّم الكامل لعدم إمكانية تجزئة هذا السلطان، أو تفرُّد الواحد به دون الآخر؛ وإلا بطل هذا السلطان عن أداء مهامه، وتعطل الإنسان عن أن يكمل مشيئة الله من نحو خلقته.

الأسباب التي أدت إلى اختلال التوازن في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة:

بدأ هذا الإختلال تدريجياً عندما ارتضى كل من الرجل والمرأة، أن يتجزأ العمل و يتوزع بينهما في شبه اختصاص، على أساس الإمكانيات الطبيعية؛ فأخذ الرجل الأعمال العنيفة المجهدة، وارتضت المرأة بالأعمال الأبسط والأقل واحتمت في مهام الحمل والولادة؛ الأمر الذي أضاف إلى الرجل قوة إضافية وسلَب من المرأة قوة أصلية، فكانت النتيجة الحتمية بعد مضي عصور كثيرة، أن صارت المرأة أضعف من الرجل وأقل كفاءة في ممارسة حقوقها الأولى التي كانت مساو ية للرجل، من جهة إخضاع قوى الطبيعة والتسلُّط على الخليقة وكل مناحي الحياة، الأمر الذي بدأ يظهر بوضوح بظهور المدنية وتطورها، والذي ترتب عليه أن اكتسب الرجل ـ ولكن عن جدارة ـ حقوقاً أكثر، بسبب تفوقه في الأداء وحمل المسئولية، و بسبب رضى المرأة عن ضعفها الذي احتمت فيه وتمادت في استغلاله، دون أن تنتبه أن ذلك أفقدها برضاها حقوقها

المساوية لحقوق الرجل، عندما تخلت عن المسئولية المتساوية التي كانت مترتبة أصلاً على الإمكانيات والسلطان المتساوي مع الرجل.

إنكشاف هذا الإجحاف في الحقوق بصورة مزعجة:

بظهور المدنية ودخول الإنسان عصر الآلة، استولى الرجل في البداية ــ بغير وجه حق ــ على إدارتها دون المرأة، بحجة أنه الأقوى والأكثر قدرة على الإحتمال والجالدة والصبر؛ وارتضت المرأة بذلك بسبب ظهور الآلة في البداية بصورة مخيفة وخطرة، وهكذا اتخذ الرجل من قوة الآلة حجة أنه الأقوى، مع أن قوة الآلة حلت محل قوته، فلم تعد لقوة الرجل في إدارة الآلة نفس المسئولية والجهد اللذين كانا يتطلبها السعي في الحياة بقوة الذراعين فقط.

وقد ظهر هذا الأمر بصورة واضحة عندما تطورت الآلة ولم يعد يستلزم تشغيلها إلا أقل مجهود، حيث لا تحتاج أحياناً أكثر من تحريك اليد أو الرجل أو الأصبع بالضغط على الأزرار أو على الزناد؛ وهنا بدأت المرأة تستيقظ وتكتشف حقها الذي ضيّعته باستكانتها، فاقتحمت ميدان العمل ونجحت فيه نجاحاً باهراً كشف عن صدق الحقيقة الأولى أن بركة الله كانت للإنسان ــ عند الخلقة ــ بالتساوي بين الرجل والمرأة، وأن السلطان مُنح لهما معاً على قدم المساواة إنما بصورة ائتلاف واتحاد في العمل لغاية واحدة.

وهكذا انكشف الإجحاف الذي لحق بالمرأة بسبب خرافة القول بأن القوة الجسدية هي الأساس في توزيع الحقوق والسيادة والسلطان، بين الرجل والمرأة.

وحتى القول بالذكاء وسرعة البديهة ــ التي احتكرها الرجل باعتبار أنها من مواهبه الطبيعية ــ ثبت عدم صحته، لأن تلك كانت مرادفة لتفرُّد الرجل في الكفاح اليومي، فهي مهارات اكتسبها بالمران تحت الظروف الصعبة، وليست خصالاً أو مواهب متأصلة في طبيعته من دون المرأة. إذ لما دخلت المرأة ميدان الكفاح والدراسة والتحصيل ثبت عدالة التوزيع في هذه الصفات، عندما حازت المرأة نفس المستوى الذي احتكره الرجل

لنفسه عصوراً برمتها.

عودة الحقوق للمرأة، ومزايا العمل ومضاره:

إن نجاح المرأة في كل ميادين الأعمال، أعطاها كل الحقوق الضائعة التي كانت قد فقدتها بتخلُّفها عن قناعة خاطئة أنها خُلقت من دون الرجل.

ولكن ــ مع الأسف ــ فإن تأخُّر المرأة عصوراً كثيرة، وخاصة في المدن، عن اقتسام الأعمال والمهام الشاقة والهامة يدوية أم عقلية مع الرجل، كان ولا يزال سبب اعتبار دخولها هذا لمجال الأعمال، كأنه اغتصاب لحقوق الرجل أو إضافة غير عادلة على مهام المرأة التي حصرت نفسها فيها بإرادتها، وهي البقاء بالمنزل للقيام بأعبائه كإمتداد للحمل والولادة والإرضاع وتربية الصغار. مع أن الأعمال والمهام الشاقة والهامة نراها في الأصول الطبيعية في الحيوانات، مقتسمة بعدالة بين الذكر والأنثى.

هذا التأخر الذي أصاب المرأة في القيام بالأعمال الشاقة والمجهدة ــ يدوية أم عصبية ــ جعلها أضعف بكثير من الرجل في تحمُّل أعباء تلك الأعمال خاصة بالنظر إلى جهازها العصبي الذي تكيَّف بالتوارث ليعمل في جو من العزلة والسكون بالمنزل.

وبالإضافة إلى المجهود المضني الذي تتكلفه المرأة إزاء أتعاب الحمل والولادة والرضاعة، صارت الأعمال الشاقة والمجهِدة عبئاً لا يُحتمل بالنسبة للمرأة، مما يؤثر تأثيراً خطيراً للغاية على متطلبات الحمل والولادة والرضاعة.

فالضجيج وسط الآلات، أو المهام الخطرة والمسئوليات، مع متطلبات السرعة وكثرة الإهتمام، بل والخوف من المؤاخذة والعقاب، والقلق والسهر والإرهاق؛ أصبحت عوامل من أخطر ما يمكن على الحمل لتوريث الطفل جهازاً عصبياً ضعيفاً دون المستوى العادي الذي يتطلَّبه البناء السليم للإنسان السوي، وهذا بالتالي فتح ثغرة على الجهاز النفسي وجعله عرضة للإصابة بالأمراض، لأن هبوط الطاقة العصبية هو بداية السلم في

مسلسل الأمراض النفسية ، وهذا هو سر انحطاط المستوى النفساني السوي للجيلين الأخيرين ؛ ومؤشر ارتفاع نسبة الأمراض النفسية بصورة خطيرة وسريعة ، يؤكد خطورة الإستمرار في هذا الوضع .

وقد أظهرت أحدث الدراسات الأمريكية أن دخول المرأة ميدان العمل كان له تأثير كبير على توازنها النفسي . فالملاحظ أن نسبة كبيرة من النساء العاملات يعانين من التوتر والقلق الناتج عن المسئوليات الكبيرة الملقاة على عاتقهن والموزعة ما بين المنزل والزوج والأولاد والعمل . فقد سجلت الإحصائيات الأخيرة أن ٧٦ ٪ من نسبة الأدوية المهدئة تصرف للنساء العاملات...

كما كان من نتيجة هذا التوتر إرتفاع نسبة تدخين السجائر بين النساء، التي فاقت في الولايات المتحدة الأمريكية نسبة الرجال .

إن الواجب الملقى الآن على المرأة داخل المنزل أصبح يختلف اختلافاً كبيراً جداً عن الواجب الذي كان ملقى عليها منذ جيلين أو ثلاثة ، فمسئولية المرأة لإدارة منزلها وتربية أولادها الصغار وقيامها بالمهام اللازمة لتعليم أولادها على مراحل التعليم المختلفة أصبحت فوق طاقتها الفكرية والعصبية بل وحتى الثقافية ؛ فجيل الأولاد لا يكف عن الشكوى من قصور الأمهات في إدراك ما يناسبهم و يناسب جيلهم . وهنا ينشأ التوتر المخيف الذي يصيب الأمهات والذي ينعكس على الأولاد ؛ فينشأوا عليلي النفسية و يبدو عليهم الهبوط في الطاقة العصبية في أوج مراحل الشباب ، الأمر الذي يحتم علينا إعادة النظر في مهام المرأة حتى في اختصاصاتها داخل منزلها لكي نضمن السلامة للأم والأولاد معاً .

الأم اليوم بدأت تسأم من دورها الطبيعي الخالد كأم . إن معظم اللاتى خرجن يبحثن عن أعمال مسلية ــ وهن في غنى عن المال ــ كوظائف السكرتارية والمرشدات السياحيات ، يكشف بوضوح عن مسار هجرة الأمومة الذي سيدمر مفهوم الأسرة و ينهي على رسالة المنزل التقليدية في تربية الأجيال ، مما يبشر بثقل جديد سيوضع حتماً على الدولة وهو الإضطلاع بدور البديل للأمومة والأبوة في تربية الجيل .

وفي اعتقادي أن ترسيخ الشعور بالفراغ والضياع لدى الشباب ، سواء كان بسبب أو بدون سبب ، هو الذي انتقل معهم بعد التخرج والنضج والزواج ليعبث نفس العبث في أداء دور الأم والأب التقليدي ، لأن مشكلة الشباب اليوم هي مشكلة الأسرة غداً لا محالة .

كذلك فإن دخول المرأة مجال الأعمال في المصانع أو بالقرب منها وسط أجواء ملوثة مشبعة بالعوادم والأبخرة الضارة من كيماويات وغيرها ، أو العمل في مجال استخدام المبيدات الحشرية ــ وكلها سموم شديدة الضرر على أجهزة الجسم ، و بخاصة الكلية والكبد ــ كانت نتيجته على الحوامل والمرضعات بالغة الخطر، فالطفل يرضع السمّ مع لبن الثدي فيباشر تأثيره على أعضائه الغضة وخلايا جسمه ، فيورثها الضعف العام والحساسية ، والتلف في وظائفها الحيوية ــ سواء أثناء الحمل من خلال دم الأم، أو أثناء الرضاعة من لبن الثدي المشبع بالسموم .

فإن كان موضوع تلوُّث البيئة هو موضوع الساعة الخطير بالنسبة للإنسان عامة ، فإنه الموضوع الحاسم بالنسبة للمرأة خاصة ، باعتبارها الأداة الأولى والفعّالة في تحويل كل صنوف سموم البيئة إلى دم الأطفال وأعصابهم وأعضاء جسمهم جميعاً ، و بصورة مباشرة .

حتمية سَنّ القوانين لتأمين العمل المناسب للمرأة :

وهنا يصبح سن القوانين لمنع المرأة عن العمل في الأماكن ذات الضجيج ، والتي لا يتوفر فيها الشروط الصحية الملائمة ــ وخاصة أبخرة الكيماويات السامة والمبيدات الحشرية ، أو الأعمال الشاقة عموماً ــ يصبح ضرورة حتمية .

كذلك يتحتم سن القوانين لتحديد ساعات العمل للمرأة بحيث لا تتعدى القدر المناسب لها دون أن يُسمح لها على الإطلاق بساعات عمل إضافية أو بنوبات السهر الليلية ؛ مع إسداء النصح المستمر إلى المرأة العاملة في وسط المدن المزدحمة الملوثة بالعوادم وأدخنة المصانع والسجاير، أن يمتنعن عن إرضاع أطفالهن رضاعة طبيعية من الثدي ؛ ويمكن تحديد خطر ذلك بأخذ عينات من لبن الثدي وتحليله و وضع حدٍ أدنى لنسبة التلوث المسموح بها للرضاعة ،

وإلا فلتلجأ المرأة إلى الإرضاع باللبن المجفف مع الإعتناء بالتعقيم . أما كل هذه القوانين والنصائح ، فهي لا تخص شخص المرأة في ذاتها ، لكنها تدخل في صميم تنشئة الجيل ومستوى البشرية بوجه عام ، فهي لا تنتقص من حقوق المرأة ، بل تؤمّن حياة الإنسان .

المرأة صانعة المدينة ، وليست صانعة في المدينة :

قد يبدو للمرأة أن من حقوقها الأولى أن تشق وتعمل كعاملة أو صانعة في أحد مصانع المدينة ، إلا أن هذا يُعتبر انتقاصاً من حقها الأعظم ، باعتبارها صانعة المدينة برمّتها . فالطفل الذي تحمل به وتلده وترضعه ـــ سواء كان ذكراً أو أنثى ـــ يُحتسب الأساس الأول والأهم الذي تُبنى عليه المدينة كلها : « وعرف قايين امرأته ، **فحبلت وولدت حنوك فبنى مدينة وسمّاها كإسم إبنه حنوك** » (تك ٤ : ١٧) .

لذلك إن اهتمت المرأة كيف تحمل وتلد وتُرضع إبناً سوياً ، فهي تبني وتصنع المدينة السوية ، وهذا هو عملها الأعظم ، ثم إن هي قبلت بعد ذلك أن تعمل كصانعة أو عاملة في مصنع من مصانع المدينة أو متجر أو دار قضاء أو مكتب هندسي ، فهذا ليس حقاً من حقوقها ، بل تفضّلاً وتضحية ولكنه تفضّل عاجز وتضحية ، يدفع الأبناء ضريبتها من صحتهم وحياتهم .

على أنه ليس حسناً أن يطغى العمل الجانبي على الأساسي و يتلفه ، بمعنى أنه من الجنون أن نذبح أطفالنا على مذبح الحقوق الشخصية ، أو نفضّل قيام مصنع في مدينة على قيام المدينة ذاتها ، أو نؤثر تعليم طفل مريض داخل مدرسة على تقديم طفل قوي سوي إلى المدرسة .

وسوف نرى ـــ في معرض الحديث عن عمل المرأة في المجال الروحي ـــ كيف أن بناء الأولاد روحياً والعمل الروحي عموماً في مجتمع المدينة لحساب ملكوت الله ، يفوق بالدرجة الأولى (لكنه لا يلغي) بناء مصانع و بيوت وكباري وسجون « لأنه ليس لنا هنا مدينة باقية ، لكننا نطلب العتيدة » (عب ١٣ : ١٤) . فكم من المدن العظمى زالت من الوجود؟ لكن توجد مدينة واحدة باقية على ممر الدهور ، وما بعد الدهور ، هي « مدينة الله » ، أي مدينة الإنسان السوي جسداً وروحاً .



العذراء القديسة مريم وهي تقف تصلي في العُلّية مع الرسل الأطهار ، جنباً إلى جنب مع بقية النساء ، فتقبّلت حلول وملء الروح القدس (أع ١ : ١٤) .

وهكذا يضع المسيح نير الخلاص على الكتفين معاً : كتف الرجل وكتف المرأة ، لبناء كنيسته .



القديسة بربارة

مثل للإيمان الذي يفوق روابط اللحم والدم .

تحدت أباها الوثني ، وأعلنت إيمانها بالمسيح ، فوشى بها ، واستشهدت في القرن الثالث الميلادي .



(٣)

الفصل الثاني

الخلقة الثانية الروحية والبحث عن دور المرأة فيها

«المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح» (يو٣: ٦).

نشاط الإنسان بدون الله:

إن أعظم صورة تعبّر عن المصير المحتوم للمسيرة **الجسدية** للإنسان على الأرض، في سعيه النشيط نحو تحقيق الذات و بلوغ منتهى طموح العقل، بالعمل اليدوي والجهد والتعاون المشترك القائم على ما هو بشري فقط دون تدخل عنصر الروح أو الله؛ هي قصة برج بابل!!

— «... وقال بعضهم لبعض هلمّ نصنع لبِناً ونشويه شيّاً؛ فكان لهم اللبِن مكان الحجر وكان لهم الحُمَر مكان الطين. وقالوا هلمّ نبنِ **لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء، ونصنع لأنفسنا إسماً** لئلا نتبدّد على وجه كل الأرض. فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما. وقال الرب: هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل؛ والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلمّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. فبدّدهم الرب من هناك على وجه كل الأرض، فكفّوا عن بنيان المدينة؛ لذلك دُعي إسمها بابل، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض، ومن هناك بدّدهم على وجه كل الأرض» (تك ١١: ١ـ٩).

إنها قصة مخيفة حقاً، لأنها تعبّر عن أعظم محاولة فاشلة للتعاون البشري، تمت على الأرض؛ وقد كانت على أعلى مستوى من التخطيط والتنفيذ بين الجماعة، إذ اتجه الفكر الواحد والرأي الواحد والمشيئة الواحدة ضد الله مباشرة، لتخليد الإنسان وارتفاعه نحو السماء بمبنى شاهق. هذا الجنوح نحو التألُّه، كان بسبب غياب الهدف الروحي أو الإتجاه القلبي نحو حب الله والقريب، ليس لبناء البرج بل النفس حتى تبلغ السماء.

إن ناطحات السحاب في المدن الحديثة، والأبراج المقامة في كل المدن العظمى، والصواريخ المتجهة نحو القمر والكواكب، وبقاء الإنسان معلّقاً في الهواء فوق الأرض شهوراً طويلة، إنما تعبّر عن استمرار عقدة برج بابل في قلب الإنسان لتخليد نفسه؛ وهو مستمر في تنفيذ خطته بالتعاون المشترك وتبادل المعلومات في علوم الفضاء والتكنولوچيا الحديثة بين أقصى اليسار وأقصى اليمين، في الوقت الذي فشل فيه التعاون على المستوى الروحي والإنساني بين هذه الدول لصالح فقراء العالم وأمن البشرية.

وهذه المحاولات كلها تنتهي عند حقيقة واحدة هي أن الإنسان يحاول الهروب من واقعه الداخلي، لذلك يصمم على الإنطلاق بعيداً عن ذاته وعن واقعه، وعن الأرض برمّتها؛ فهو لا يريد أن «يأتي ملكوت الله» إليه، بل ينطلق هو إلى الفراغ ليحقّق ملكوته هو[1] في اللاوزن.

الخلقة الجديدة وميلاد الإنسان ثانية من فوق من الماء والروح:

إن الوجه المقابل لحادثة برج بابل ـــ سواء التاريخية المسجّلة في التوراة أو تلك النزعة الطبيعية الذاتية التي لا تزال تحرك عقل الإنسان وتوجّه نشاطاته وتعاونياته؛ هو حادثة يوم الخمسين وحلول الروح القدس على الكنيسة المجتمعة، وبدء عمل الله في قلب الإنسان لبناء المدينة الروحية ليست ذات الأبراج الشاهقة على الأرض، بل ذات الأساسات

---

(١) إننا لا ندين التقدُّم التكنولوچي وتشييد ناطحات السحاب وتجارب الفضاء في حد ذاتها، فإن الإنسان بهذا يستكمل سلطانه على الطبيعة الذي منحه الله إياه في الخلقة الأولى؛ بل إنما ندينه من جهة اللاشعور الذي يعبّر عن نزعة الإنسان لتأليه الذات البشرية من دون الله.

السماوية غير المصنوعة بيد، تلك التي لها كل الصلاحيات للعمل على الأرض لتغيير مدينة الإنسان ومدنيته للتصالح مع الله.

لقد قصد الله في يوم الخمسين ـــ بحلوله في الإنسان بواسطة الروح القدس ـــ أن يغيّر عنصرين أساسيين في طبيعة الإنسان وحياته؛ **الأول**: عنصر القوة الذاتية، **والثاني**: عنصر الهدف الذي يعيش له الإنسان.

أما عن العنصر الأول فقد صار «الله (نفسه) هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا» (في ٢: ١٣)، وذلك بحلول الروح القدس وسكناه داخل القلب لقيادة الإنسان وإرشاده وتعليمه.

وأما عن العنصر الثاني ـــ وهو الهدف الذي كان ينحصر في تحقيق سلطان الإنسان وطموحاته (الرجل بنوع خاص)، فبنوال الإنسان روح القيامة وقوتها صار «لا يعيش فيما بعد لذاته، بل للذي مات من أجله وقام» (٢كو ٥: ١٥)؛ وصار همُّ الإنسان الأول لا أن يكتب سيرة عظمته على الأرض بالقوة والمجد الباطل ـــ ليخلّد نفسه وذرّيته وذكراه على مستوى برج بابل ـــ بل لكي يكتب سيرته في السماويات التي منها ينتظر المخلّص (في ٣: ٢٠).

وهكذا جاء المسيح ليصير المصدر الوحيد للقوة، والهدف الأخير للإنسان؛ وهكذا إنتفت كل الأسباب التي فرّقت بين الرجل والمرأة.

الرجل والمرأة هما في المسيح إنسانٌ واحد كامل:

إن كان الله قد صار مصدر القوة الحقيقية للإنسان عموماً (راجع أف ١: ١٩، أف ٣: ٧ و١٦ و٢٠، أع ١: ٨)، فقد بطلت حجّة الرجل الأولى في اكتساب حقوق فائقة على المرأة بسبب قوّته، وأصبحت المرأة بالروح القدس في وضعها المسيحي الجديد ـــ أي بقوة المسيح واتحادها بالرجل ـــ مساوية تماماً للرجل في كل ما يخص بناء الإنسان الكامل الجديد وتكميل العمل لإستعلان ملكوت الله: «لأجل تكميل القديسين، لعمل

الخدمة، لبنيان جسد المسيح؛ إلى أن ننتهي **جميعنا** إلى **وحدانية الإيمان** ومعرفة ابن الله، إلى **إنسان كامل**، إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤ : ١٢)، حيث قامة ملء المسيح ليس فيها «ذكر وأنثى» بل «إنسان (واحد) كامل»، وهي هي «**الكنيسة**» وهي «**جسد المسيح**».

هكذا يشدّد بولس الرسول «... ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» (غل ٣ : ٢٨)، وهو لا يقول: «رجل وامرأة» بل «ذكر وأنثى» قاصداً إلغاء مفهوم كل من التمايز والتعالي الجنسي من كافة الوجوه. وهو بذلك يتغلغل إلى أعماق كل الأسباب التي فرّقت بين الرجل والمرأة بسبب الجنس. و يعود بولس الرسول في موضع آخر ليؤكد التساوي المطلق والمتبادَل في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة في الحياة المسيحية، بقوله: «غير أن الرجل ليس من دون المرأة، ولا المرأة من دون الرجل في الرب» (١ كو ١١ : ١١)، ثم يعطي هذا التساوي بين الجنسين مفهوماً آخر غير الذي يُقال، على أساس أن حواء هي من آدم: «فقال آدم هذه الآن عظم من عظمي، ولحم من لحمي... و يكونان جسداً واحداً» (تك ٢ : ٢٣ و ٢٤)، إذ يقول بولس الرسول: «كما أن المرأة هي من الرجل، هكذا الرجل أيضاً هو بالمرأة، ولكن جميع الأشياء هي من الله» (١ كو ١١ : ١٢).

وهكذا إذ يعيد بولس الرسول كل شيء إلى الله، كمصدر للحياة برمّتها، يقرر أنه يمتنع التقديم والتأخير بين الرجل والمرأة في كل شيء، خاصة وأن المسيح جعل الإثنين واحداً فيه كغاية ونهاية للحياة الحقيقية؛ فالمرأة حينما تتحد بالمسيح تساوي الرجل تماماً حينما يتحد بالمسيح؛ وإذا اتحد الرجل بالمرأة في المسيح صارا في المسيح إنساناً واحداً كاملاً. وهكذا ترتفع مشكلة الجنس إلى المستوى السرائري لتصل إلى الوحدانية في طهارة الرؤية والتفكير؛ وهنا لا يلغي الروح القدس جمال الخلقة الأولى بل يرفع منها العثرة، و يعيدها إلى كمالها.

لذلك يتحتّم ألا يغيب عن البال قط، أنه بمجرد ذكر الإنسان الجديد المولود ثانية من فوق من الماء والروح، ينتفي التفريق بين الرجل والمرأة أمام الله في كل حقوق الأخذ الروحي من الله، وكل العطاء الروحي بالله، لأنها من الله و بالله.

كذلك بمجرد أن يخلع الرجل والمرأة من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، و يتجددا بروح ذهنهما، فإنهما يلبسان الإنسان الجديد، ذا الشكل الواحد — أمام الله وليس أمام الناس — حيث ليس ذكر وأنثى، لأنه يكون «مخلوقاً بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤ : ٢٢)؛ لأن الإنسان الجديد يعود و يأخذ صورة خالقه، حيث يصير المسيح فيه «الكل في الكل» (كو ٣ : ١٠ و ١١)، وهكذا نرى بصورة عملية كيف يصبغ الروح القدس الجنس — في المعمودية — بصبغة القداسة السرية جداً.

ولكن هذا التساوي الكامل والمطلق بين الرجل والمرأة في روحيات الإنسان الجديد ومواهبه الروحية وحقوقه في المسيح، لا يلغي التمايز الخلقي للجسد والفارق التكويني في وظائف الأعضاء والصفات والمميزات الخاصة بكل من الرجل والمرأة إلى الدرجة التي تبيح للمرأة مزاولة كل حقوق الرجل، في ممارسة الحياة الروحية — لاسيا داخل الكنيسة أو في وسط الجماعة. فأنوثة المرأة مهما انصبغت بالروح إلا أن بقاءها في الجسد يحدّها في السلوك والحرية. و بالرغم من أننا نجد أنه أينما حلّ الروح القدس فإنه يجمع بين الجنسين في حالة من القداسة نعتبر أنها هي القداسة الجنسية التي كان يعيشها آدم وحواء قبل السقوط، إلا أن الرجل يبقى دائماً رجلاً والمرأة مرأة، بكل مميزاتها وفوارقها الطبيعية.

حقوق وواجبات المرأة داخل الكنيسة وفي وسط الجماعة:

مع الرسل:

الملاحظ أن الرب لم يعيِّن مع الإثنى عشر أحداً من النساء، ولا حتى ضمن السبعين رسولاً، كما أننا لا نجد في إرسالية الرب للتلاميذ بعد القيامة أية إشارة بشأن إرسالية النساء، مع أن بشارة العهد الجديد تقوم أساساً على قيامة المسيح من بين الأموات،

والنسوة كنَّ أول من شاهدها وشهد لها وأبلغها!!

وكنا نظن أنه من المفيد والهام لنا جداً، أن نجد شهادة شخصية للعذراء مريم في الأمور الخاصة بيسوع المسيح فيما بعد ميلاده، تلك التي لا يعرفها أحد قط سواها، لكن على الرغم من ذلك امتنع الإنجيل عن تسجيل مثل هذه الشهادة المباشرة، ذاكراً لنا شهادة غير مباشرة عن بشارة الملاك بالحبَل البتولي المقدس وزيارة العذراء لأليصابات، وذلك عن فم آخر، أي كل من القديسين متى ولوقا.

لكن بالرغم من عدم تسجيل الشهادات المباشرة للنسوة المختارات، إلا أن دورهن في الإنجيل بارز وهام ـ وإن كان مستتراً ـ سواء في بيت لحم أو قانا الجليل، أو عند بئر يعقوب، أو في بيت عنيا أو في منزل يوحنا مرقس بأورشليم، أو عند القبر، أو في العلية يوم الخمسين؛ هذا بالإضافة إلى أنهن على مدى خدمة المسيح كلها، كن يتبعنه أينما سار ويُعِدن له كل ما كان يسمح لهن به من خدمة: «... ونسوة كثيرات كن يخدمنه من أموالهن» (لو٨: ١ـ٣).

وهنا يلزم الفكر المسيحي جداً، أن يكون له ولو مجرد دراية بوضع المرأة في العهد القديم، وبخاصة أيام المسيح وفي وسط المتدينين والفريسيين:

+ الفريسي المتعبد التقي، كان يصلّي كل يوم في فاتحة النهار شاكراً الله لأنه لم يولد «امرأة أو أبرص أو أممياً نجساً». ويلاحظ هنا كيف توضع المرأة في مستوى الأبرص والأممي الكلب النجس الذي مجرد مصافحته تنجس!

+ والمتقدم في العبادة بين الفريسيين، كان يُدعى «الفريسي ذا الجروح الدامية»، لأن مثل هذا التقي كان يلتزم بالسير مطأطىء الرأس وعينيه إلى الأرض لئلا تلمح امرأة، من أجل هذا كان معرَّضاً دائماً أن يصطدم بحائط أو شجرة أو عمود، فتنبطح رأسه أو جبهته فتدمى ـ لذلك كان يُدعى «بالفريسي الدامي».

+ وقصة تعجُّب التلاميذ عند عودتهم ورؤيتهم معلمهم ـ الرب يسوع ـ جالساً يتحدث

مع امرأة، يوضح شيوع هذا الإعتبار من جهة انحطاط مستوى المرأة وعزلها عن المجتمع، حتى في نظر التلاميذ.

+ كذلك فإن المرأة لم تكن تُحسب من عداد الشعب حسب التقليد اليهودي: «وكان عددهم نحو خمسة آلاف رجل، عدا النساء والأولاد»! حيث توضع المرأة في الإعتبار على مستوى الأطفال.

+ كذلك نجد بولس الرسول يحنّ إلى تقليده الفريسي، في ذكر حوادث ظهور الرب للمختارين عقب قيامته، فهو يذكر أنه ظهر أولاً لبطرس، وهنا يُسقط عمداً إسم مريم المجدلية، ثم يأتي بذكر كل من ظهر لهم المسيح دون أن يذكر امرأة واحدة.

لكن يأتي هيپوليتس المدعو بالروماني (وهو إسكندري الجنس بكل تأكيد) ويصحح هذا الإعتبار، فيدعو مريم المجدلية بلقب عجيب: «رسولة الرسل»، وذلك في شرحه لسفر نشيد الأناشيد.

لكن النساء بدأن دوراً هاماً في البشارة بالإنجيل، دوراً مكمِّلاً لرسالة الرسل، لأن زوجات الرسل كن يَجُلْن معهم كأخوات وليس كزوجات: «ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأختٍ زوجة، **كباقي الرسل، وإخوة الرب، وصفا (بطرس)**» (١كو٩: ٥)؛ ذلك لأنهن كن حاضرات يوم الخمسين وامتلأن من الروح القدس: «هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة **مع النساء ومريم أم يسوع** وإخوته... وكان عدة أسماء معاً نحو مائة وعشرين... ولما حضر يوم الخمسين **كان الجميع معاً** بنفس واحدة... **وامتلأ الجميع من الروح القدس**» (أع١: ١٤، ٢: ١).

ويلاحظ هنا بوضوح، اشتراك المرأة في الصلاة والطلبة بمواظبة مع جماعة الرسل، الأمر الذي ظلّ حقاً لها بعد ذلك داخل الكنيسة على مدى العصور. كذلك نلاحظ أن حلول الروح القدس ـ وهو أعلى هبة ـ على الجماعة لم يستثنِ المرأة، وكذلك الملء من

الروح الذي كانت تتبعه المواهب. لذلك يلزمنا أن ننتبه إلى أن الروح القدس بحلوله على المرأة كحلوله على الرجل، وامتلاء المرأة منه كامتلاء الرجل؛ كان أول إشارة ذات فعالية استمرارية لدخول المرأة في مجال النعمة لنيل كل الحقوق المساوية لحقوق الرجل في ملكوت الله.

ويلاحظ أن حلول الروح القدس بنفس السرعة على النسوة، وامتلاءهن منه بنفس القوة، وحصولهن على مواهب الروح، لم يُثِر أيّة دهشة أو تساؤل بين التلاميذ أو الكنيسة عامة؛ وذلك بسبب المبادىء والأسس التي سبق أن أظهرها الرب في حياته كنموذج لهذا السلوك الأخلاقي الروحي المتسامي. لقد وعى التلاميذ درس معلمهم اليومي، كيف كانت النسوة عذارى ومتزوجات يتبعن المسيح ويعددن له حاجاته؛ وكيف كان يخاطب الأجنبية الخاطئة تلك السامرية المنبوذة من بني جنسها، وتلك الخاطئة التي أمسكها الفريسيون في ذات الفعل مطالبين برجمها؛ كيف كان يبدي الحنان والعطف عليهن، ذلك العطف الإلهي الذي يستطيع أن يفدي والذي ليس هو على مستوى الجسد الذي تحركه الغرائز. بل كيف أعلن محبته الفائقة السمو رسمياً نحو مريم ومرثا أختي لعازر: «وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر» (يو١١: ٥).

وإن هذا السلوك الذي يسنده الفداء، لهو إلهي بالدرجة الأولى، إذ يخلو من أية عثرة لأي إنسان؛ ولو حاول أي رائد أو قائد في الكنيسة أن يحذو حذوه لوقع تحت الدينونة والفضيحة، في الوقت الذي يظهر به المسيح أكثر تفوقاً في الطهارة المضيئة المشعة على أساس الفداء الذي أكمله بموته عن الخطأة والخاطئات.

لذلك تقبّلت النسوة حلول الروح القدس وعمله، كامتداد لعمل المسيح وفدائه للمرأة.

وهكذا اقتبلت المرأة حقها لأول مرة في الوجود، وبدون مطالبة أو دفاع أو نزاع؛ ومن الله مباشرة، لتكون مساوية للرجل في كل ما هو لله!!

لقد كان الله يدرك ما آلت إليه حال المرأة من انحطاط وعزلة وامتهان على مدى عصور الناموس والحرف والضيق العقلي، فبادر بنفسه إلى أن يحل هذه القيود الحديدية التي وضعها المجتمع البشري حول يدي المرأة كما حول يدي «عبد». هكذا رأى بولس الرسول بعيني الروح كيف وهب الروح القدس للمرأة ــ كما للعبيد ــ هذه الحقوق الجديدة في الرب: «ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى؛ لأنكم جميعاً واحد في المسيح» (غل٣: ٢٨).

وبصورة مجملة يضع بولس الرسول حرية المرأة في دائرة الروح القدس، وفي دائرة الروح القدس فقط: «حيث روح الرب هناك حرية» (٢كو٣: ١٧) حتى ينتفي التزييف البشري، لأن في غياب ملء الروح القدس، لا يمكن أن تبقى الحرية بدون خطيئة ودينونة.

لهذا، ولشدة الأسف، نجد أنه حينما تفتقد الكنيسة رجالاً ونساء ممتلئين وممتلئات من الروح، أي من فعالية الروح القدس العامل لتحرير الفكر والإرادة والسلوك من الجنوح نحو الخطيئة، والداعي إلى وحدة العمل والهدف؛ تبدأ المرأة بالمطالبة بحقوقها، وكأنما دخلت في قيودها من جديد؛ حتى أصبحت المطالبة بحقوق المرأة هي المرادف الحساس للفراغ من فعالية الروح القدس وملئه، لدى المرأة والمجتمع الجاحد لحقوقها.

ولا يمكن الآن أن نجد حلاً كلامياً، أو تخطيطاً أو دراسة أو دورات مسكونية، أو حتى دفاعاً قضائياً، لإعطاء المرأة حقوقها الكاملة إلا بالعودة إلى الروح القدس وإدراك ما عمله المسيح فينا؛ فهو وحده الذي يفك القيود أولاً، ثم يطلق المرأة والإنسان عموماً إلى الحرية الفائقة السمو والإدراك، على مستوى المعدلات الخالية من أية تفرقة أو تمايز بشري، بقوة وفاعلية تكون هذه القوة بحد ذاتها البرهان المقنع لصدق الحصول على الحقوق الموهوبة من الله رأساً.

ويلزمنا هنا أن نؤكد أنه مهما بلغت المرأة من مكانة أو صيت عن حق، فهي تظل في

حاجة إلى الروح القدس لتدرك سمو حقوقها في الله، و يكفينا أن نشير إلى العذراء القديسة مريم — أم واهب الروح القدس — وهي تقف وتصلّي في العلية مع النساء لتقبل حلول وملء الروح القدس، لتكميل مسيرة الحياة مع الله.

نعم لكي تتساوى المرأة مع الرجل في الحقوق، يتحتم أن تدرك هي أولاً سمو ميلادها الآخر الذي رفع عنها تدنّيها بسبب أنوثتها: « **الذين وُلدوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله** » (يو ١ : ١٣).

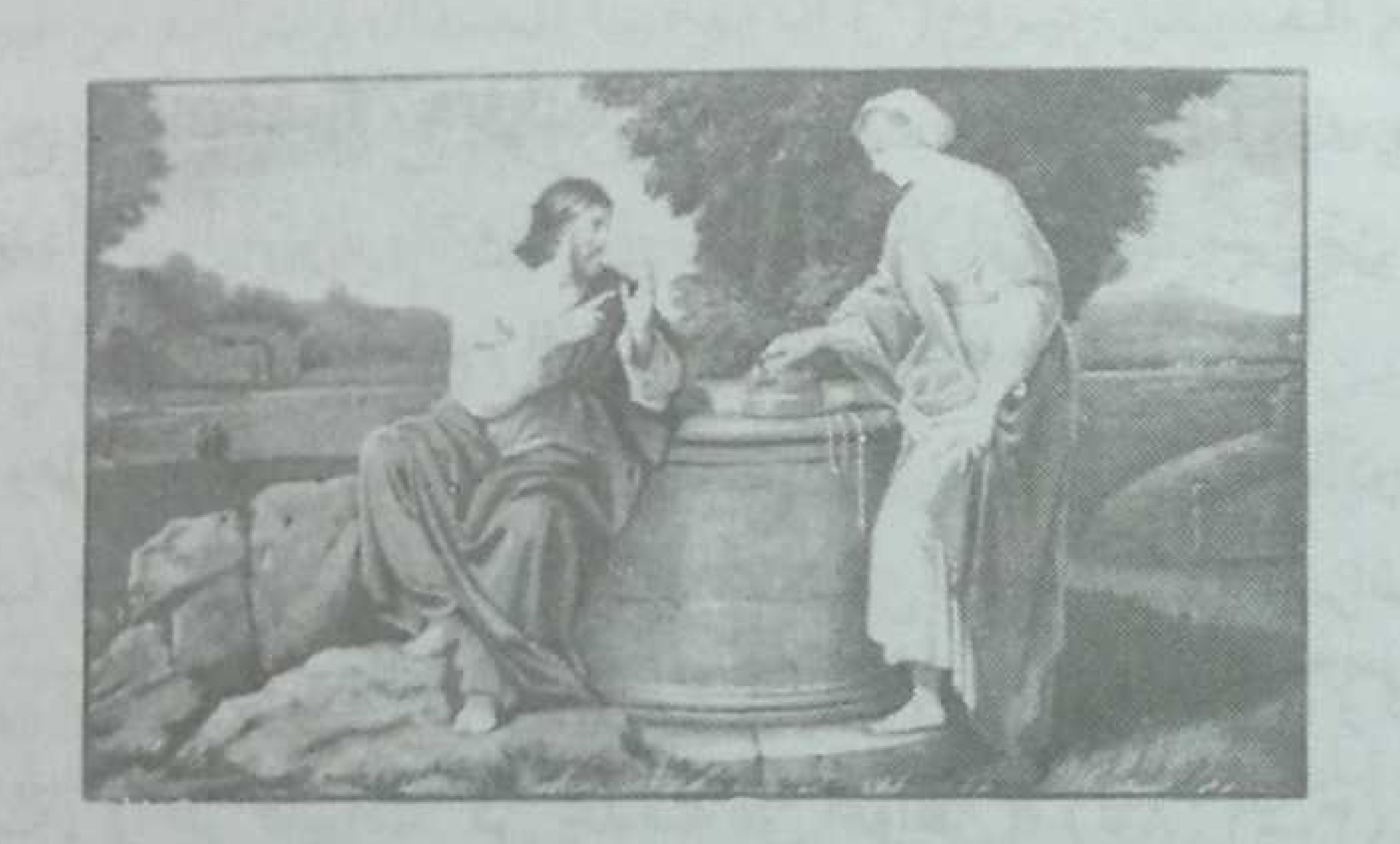
لذلك فطالما يعتمد منهج المرأة في الحصول على حقوقها، على فكرة اغتصابها مرة أخرى من الرجل الذي اغتصبها، فلن تبلغ حدود حريتها الحقيقية وحقوقها الأصيلة، الموهوبة لها من الله؛ إذ يلزم ألا يقوم المنهج على المطالبة، بل على إثبات الكفاءة القائمة على الحق شعوراً وعملاً.

المرأة في خدمة الكرازة:

ونحن إذا فحصنا الإنجيل نجد فيه دوراً هاماً وجليلاً للمرأة جاء مؤيّداً بمواهب الروح القدس باعتباره صادراً من الله.



(٤)



(٥)

الفصل الثالث

المرأة في أيام المسيح

[كانت المرأة اليهودية مغطاة الرأس، بحيث لا تظهر معالم وجهها على الإطلاق، حبيسة المنزل، تحت سلطان زوجها أو أبيها، لا تتمتع بحق العبادة المتساوية مع الرجل، لأنها كانت محتقَرة على المستوى الديني.

أما الكتابات المنقولة من ذلك العصر وما قبله، فهي تخلو تماماً من الأوصاف التي كان يوصف بها رجل الدين، فلا يُعثَر قط على اصطلاح «غيورة» أو «صِدّيقة» أو «قدّيسة» بالنسبة للمرأة، مثلما يُطلَق «هاسيد»، «صاديق» و«قادوش» على الرجل. والناموس نفسه يقول عن المرأة أنها دون الرجل][1].

(1) Jerusalem in the time of Jesus, by Joachim Jeremias, pp. 375, 376.

أما المسيح، فكان تعامله مع المرأة على مستوى لم يسبق له مثيل في تاريخ اليهود؛ فقد اصطحب عدداً كبيراً منهن، يلازمنه و يَسِرْن معه كالإثنى عشر، منهن مَن كُنَّ من عامة الشعب ومَن كُنَّ من طبقة الحكام، الفقيرات والغنيّات سواء بسواء:

— «وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز و يبشِّر بملكوت الله، ومعه الإثنا عشر وبعض النساء كُنَّ قد شُفين من أرواح شريرة وأمراض؛ مريم التي تُدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين، و يونَّا امرأة خوزي وكيل هيرودس وسوسنّة، **وأُخر كثيرات كنّ يخدمنه من أموالهن**» (لو٨: ١ــ٣).

وهؤلاء بقين مع المسيح كل سني خدمته لم يفارقنه. فيذكر القديس مرقس الرسول آخر مشهد لهن معه عند الصليب هكذا: «وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد، بينهن مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب الصغير، و يوسي، وسالومة، **اللواتى أيضاً تَبِعْنه وخَدَمنه حين كان في الجليل**، وأُخر كثيرات اللواتى صعدن معه إلى أورشليم» (مر١٥: ٤٠و٤١).

وكان ظهور النسوة وسيرهن علناً وسط الجماهير وتركهن لمنازلهن، حدثاً جللاً في إسرائيل؛ لأن هذا كان يمثل ثورة على التقاليد اليهودية فيما يخص المرأة، الأمر الذي دخل رسمياً ضمن التهم الموجهة ضد المسيح والتي كانت تدعو إلى صلبه: «إننا وجدنا هذا يفسد الأمة» (لو٢٣: ٢).

ولكن المسيح بهذه الصورة، أعطى النموذج الواضح الناطق لحق المرأة في العمل والسير مع الرجال، للإشتراك في خدمة المسيح، والإستماع إليه والإستجابة له، بل والدخول إليه بدالة فائقة؛ إذ لا ننسى اقتحام أم إبني زبدي عرشه غير المنظور، لتطلب منه مستبقة الحوادث: «حينئذ **تقدمت** إليه أم ابني زبدي مع ابنيها، **وسجدت** وطلبت منه شيئاً، **فقال لها ماذا تريدين**، فقالت له **قل** أن يجلس إبناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك» (مت٢٠: ٢٠و٢١).

و يوضح القديس چيروم(٢) أن يوحنا المعمدان لم يتراجع عن قبول اعترافات النسوة، ووعظهن للتوبة؛ وتعميدهن، شأنهن في ذلك شأن الرجال سواء بسواء. وهذا يُقرُّه الرب يسوع و يوافق عليه ويمتدحه، باعتباره عملاً إلهياً بقوله: «... الحق أقول لكم إن العشَّارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله؛ لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به، وأما العشارون والزواني فآمنوا به» (مت٢١: ٣٢).

ويمكن بوضوح اكتشاف منهج فكري كامل، يختطُّه المسيح بالنسبة لخروج المرأة وعملها في الحقل الديني مع الرجال سواءً بسواء، لأنه بعدما سمح للنسوة بالسير معه في كل مدينة وقرية ضمن زمرة التلاميذ، عاد إلى التلاميذ محذِّراً: «وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه» (مت٥: ٢٨). وهذا يكشف، ضمناً، أن المسيح سمح للمرأة برفع الحجاب، بعد أن قنَّن للرجال كيفية التعامل معها. لأن أصل وضع الغطاء على رأس المرأة هو عمل وقائي للرجل، وليس للمرأة. وإن كان بولس الرسول قد عاد فطالب بوضع غطاء الرأس، فقد كان ذلك داخل الكنيسة، أي وسط الجماعة، **وأثناء الصلاة والتنبؤ بالذات**، أي أثناء تسبيح المرأة برفع صوتها أو تلاوة ما يعطيها الروح أن تنطق به، وليكون غطاء الرأس بمثابة حائل دون العثرة.

وإن إجراء المسيح العلني بمغفرة خطايا المرأة التي أُمسكت في الزنا، وكذلك المرأة الخاطئة التي جاءت من ورائه و بلَّت رجليه بدموعها ومسحتها بشعر رأسها، أمام الفريسيين وحُماة الناموس، كان أول منطلق لإخراج المرأة من حبسها الأبدي الذي كان تحت الناموس، لتقف أمام الله مع الرجل سواء بسواء: «مَن كان منكم بلا خطية **فليرمها أولاً بحجر**» !! (يو٨: ٧)، فلم يوجد منهم ولا رجل واحد بلا خطيئة، إذ خرجوا **جميعهم في خزي**. أما المسيح فلم يُخرج المرأة، بل غفر لها خطاياها دون أولئك المشتكين جميعاً، معبِّراً بذلك ومسجِّلاً أنه حتى المرأة الخاطئة صار لها **الحق في المسيح**، أن تقف **أمام الله مغفورة الخطايا**.

(2) Jerome, Dial. adv. Pelag., III, 2.

وإن المسيح بنقده اللاذع للناموس ـ بسبب تصريحه للرجل بتطليق المرأة عائداً باللوم على الرجال في عصر موسى، الذين بسبب قساوة قلوبهم أعطاهم موسى ـ وليس الله ـ الحق في التطليق، يكون المسيح بذلك قد أعاد لناموس الخلقة الأول كل مجده وكرامته، وبالتالي يكون قد منح المرأة حق التساوي مرة أخرى مع الرجل، في كافة الحقوق المدنية المترتبة على الزواج، معتبراً أن الزواج هو سر إلهي منذ بدء الخليقة:

ـ «وقال لهم أما قرأتم قط أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى، ... فالذي جمعه الله لا يفرِّقه إنسان» (مت١٨ : ٤، تك١ : ٢٧، ٢ : ٢٤).

وهكذا رفع المسيح هيبة الزواج وكرامته إلى مستوى قدسية السر الإلهي غير القابل للانحلال قط، حاسباً أيضاً أن الذي يتزوج بمطلَّقة يزني، باعتبار أن زواجها الأول قائم في عين الله لا يُلغَى (مت٥ : ٣٢، ١٩ : ٩ ـ مر١٠ : ١١و١٢ ـ لو١٦ : ١٨). وهكذا يعطي المسيح بالتالي للمرأة هيبتها وكرامتها، كشريك مساوٍ في كل حقوق الزوجية، وكل ما يتفرع من هذه الحقوق و ينتج عنها.

ونحن نقرأ في سفر الأعمال عن العذارى الأربع (بنات فيلبس المبشر أحد الشمامسة السبعة المنتخبين) **اللائي كن يتنبأن** (أع٢١ : ٩)، كذلك **فإن زوجات الرسل اللائي كن يجُلْن معهم للكرازة، كن يكرزن للنساء في داخل البيوت**، الأمر الذي سجّله لنا اكليمندس الإسكندري:

[وإن الرسل الذين سلَّموا أنفسهم إلى عمل الكرازة «κήρυγμα» كما يليق بخدمتهم «διακονία» أخذوا معهم نساءهم، لكن لا كزوجات بل كأخوات، لكي يشتركن في الخدمة معهم (سواءً بسواء) «συνδιακόνους» إنما في البيوت، للنساء اللائي يعشن في بيوتهن، **وهكذا صار تعليم الرب** «διδασκαλία» **يصل بواسطتهن إلى أماكن النساء** «γυναικωνίτις» ، دون أن يثير ذلك الشبهات](٣).

(3) Strom., III, 6, 53.

و يعتبر هذا النص المتقدِّم جداً في الزمن، ذا أهمية كبرى، خاصة أنه **يحدِّد** بوضوح وبصورة إيجابية، دور المرأة في خدمة الكرازة بكل تعاليم الرب، إنما لجنسها فقط أي للنساء، وفي بيوتهن الخاصة التي كان يصعب على الرسل دخولها.



(٦)

(٧)

الفصل الرابع

مع القديس بولس الرسول

يؤكد لنا بولس الرسول هذه الخدمة الخاصة بالنساء، كيف كانت تقام خصيصاً في البيوت حيث كانت تجتمع النساء ككنيسة؛ و يكشف لنا في (رومية ١٦: ١ـ١٦) عن خدمة المرأة التي كانت له عوناً كبيراً جداً في إرساليته. ويحدّد أنواع الخِدم التي كن يقمن بها فيذكر الآتي:

أـ شماسة قديسة في رحلة كرازية عبر البحار، يقتنها بولس الرسول في مصاف القديسين:

«أوصي إليكم بأختنا فيبي، التي هي خادمة (=شمّاسة διάκονος) في كنيسة كنخريا، كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين، وتقوموا لها في أي شيء احتاجته منكم؛ لأنها صارت مساعدة προστάτις لكثيرين ولي أنا أيضاً» (رو١٦: ١ـ٣). و يلاحظ هنا أن كلمة «ذياكونوس» تفيد معنى الخدمة الروحية الخالصة، كذلك كلمة «بروستاتيس» تعني الشخص المتقدّم في المساعدة. ولا يفوتنا أن بولس الرسول يكتب إلى أهل رومية من كورنثوس، وأن فيبي هي خادمة لكنيسة كنخريا رسمياً، وهو يطلب من أهل رومية أن يسهّلوا لها خدمتها الكرازية في البلاد

الغريبة، وإنما في وسط السيدات!! فهي هنا تقوم برحلة افتقاد لخدمة الكرازة بعيداً عن كنيستها، لذلك استحقت لقب «بروستاتيس» أي رئيسة أعوان.

كما يلاحظ أن الإنطباع الروحي، الطاغي على مشاعر بولس الرسول من نحو هذه الشماسة، هو أنها بلغت درجة القداسة، لذلك كان أول تأكيد في مديحها وتقديمها لكنيسة روما هو أنه يلزم أن تُقبَل وتُعامَل كقديسة. وهكذا **تقبّلت المرأة، الخادمة لأول مرة في كنيسة الرسل، حقوق القديسين: «كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين».**

كذلك يلزم التنبيه، أن الخدمة بحد ذاتها διακονία هي موهبة من مواهب الروح القدس، يضعها بولس الرسول بين موهبة النبوة وموهبة التعليم: «ولكن لنا مواهب مختلفة حسب النعمة المعطاة لنا، أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان، **أم خدمة ففي الخدمة**، أم المعلّم ففي التعليم» (رو١٢: ٧).

وخدمة فيبي هنا ـ تعبّر لأول مرة عن مفهوم الخادمة المخصّصة لكنيسة معينة.

ب ـ خادمات تعبْن في الرب كثيراً، وجاهَدْن في الإنجيل مع بولس الرسول:

ـ «**سلّموا على بريسكلا (امرأة)** وأكيلا (رجل) **العاملَيْن معي** في المسيح يسوع (τοὺς συνεργούς μου ἐν Χρ.)، اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى، اللذين لست أنا وحدي أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم، وعلى الكنيسة التي في بيتهما» (رو١٦: ٣ـ٥).

و يلاحظ هنا كلمة «**العاملَين معي**» كدرجة يرفع إليها بولس الذين شاركوه في عمل الكرازة بصورة عالية، و يعطيها لكل من: تيموثاوس «يسلم عليكم تيموثاوس العامل معي» (رو١٦: ٢)، وتيطس «تيطس شريك لي **وعامل معي** لأجلكم» (٢كو٨: ٢٣)، وإبفروديتس «إبَفْروديتُس أخي **والعامل معي** والمتجند معي ورسولكم والخادم لحاجتي» (في٢: ٢٥) «إفودية... وسنتيخي... **وباقي العاملين معي** الذين

أسماؤهم في سفر الحياة» (في ٤ : ٢ و٣).

— «سلّموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب κοπίαν وعلى برسيس المحبوبة التي **تعبت كثيراً في الرب**» (رو١٦ : ١٢).

— «إفودية... وسنتيخي...، أسألك أنت أيضاً ياشريكي المخلص ساعد هاتين اللتين **جاهدتا معي في الإنجيل** (ἐν τῷ ἐυαγγελῖω) مع اكليمندس أيضاً **وباقي العاملين معي** (συνεργῶν) الذين أسماؤهم في سفر الحياة» (في ٤ : ٢ و٣).

هنا نساء كان تعبهن ظاهراً في وسط الجماعة، ومخصصاً للرب، وفي الإنجيل بالذات، أي للبشارة المفرحة بالقيامة والخلاص؛ وبولس الرسول يحمل في قلبه تأثيراً شديداً من جهة تعب هاته النسوة اللاتى كن **يجاهدن ويعملن** مع بولس في نفس الخدمة الرسولية وبنفس الحماس والأسلوب الرسولي (معي συν) على التساوي (وإنما في محيط النساء بالتأكيد)، مما جعل بولس يرتفع في نشوة الروح ويرى ويتحقق أن أسماءهن كُتبت في سفر الحياة.

ويلاحظ أن إسم أفودية وسنتيخي يأتي قبل إسم اكليمندس الذي صار بابا روما. وينبغي هنا أن يعود القارىء إلى تصريح اكليمندس الإسكندري عن خدمة النساء مع الرسل بنفس القوة والحماس والأسلوب الرسولي (إرجع إلى ص ٢٧).

ج — نساء يصلين ويتنبأن داخل الكنيسة:

هذا التسجيل جاء ضمن دفاع بولس الرسول عن التقليد بوجوب تغطية رأس المرأة أثناء التواجد في الكنيسة هكذا: «أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرجل، ورأس المسيح هو الله؛ كل رجل يصلي أو يتنبأ وعلى رأسه شيء يشين رأسه، **وأما كل امرأة تصلي** προσευχομένη **أو تتنبأ** προφητεύουσα ورأسها غير مغطى فتَشِين رأسها... لهذا ينبغي للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة» (١ كو١١ : ٣ — ١٠).

هنا تسجيل هام جداً يوضِّح أن النساء كنّ يحضرن مع الرجال **ويصلين، ويتنبأن** بمقتضى مواهب الروح القدس التي مُنحت لهن كباقي المؤمنين الرجال، **وهنا يأتي وضع النسوة وهن يتنبأن مساوياً تماماً لوضع الرجال وهم يتنبأون، ولا فرق إلا وجوب تغطية الرأس**؛ وإنما لا يتجاوز هذا الوضع دور المؤمنين العاديين، ولا يرتفع إلى مفهوم الرئاسة في الخدمة أو قيادة الصلاة، فالكلام هنا محدود في خوارس المؤمنين، وبالذات في محيط النساء.

هذه الموهبة التي **أُعطيت** للمرأة بالتساوي مع الرجل هي تحقيق صادق لنبوة يوئيل النبي، أن الروح القدس سيحل على النساء ويجعلهن يتنبأن سواءً بسواء مع الرجال: «ويكون بعد ذلك أني أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم... وعلى عبيدي (الرجال) وعلى الإماء (عبيدي من النساء) أسكب من روحي في تلك الأيام» (يوئيل ٢ : ٢٨ و٢٩).

أما مسألة تغطية الرأس بالنسبة للمرأة فلا تشير إلى تدنّي في المرتبة عن الرجل، ولكنها تعبير عن الدخول في مجال الإختفاء عن العيون، لتصير صلاتها، أو يصير تنبؤها بغير تشتت وبلا عثرة عند الآخرين، وتمييزاً لها عن الرجل أمام الله والملائكة، مظهره أنها لا تزال تحترم وتخضع لنسق حُسن الخلقة الأولى التي خلقها الله بها كأنثى، حتى وبعد حصولها على ملء حريتها وخلاصها وفدائها وتساويها بالرجل.

أما قوله أن رأس المرأة هو الرجل، فهذا أيضاً لا يقلّل لا من كرامة المرأة ولا من مساواتها للرجل، لأن بولس الرسول أردف شارحاً بإيجاز قائلاً: «ورأس المسيح هو الله». وغني عن التعريف حقيقة مساواة المسيح كإبن لله الآب، سواء في الكرامة أو المجد أو الجوهر والصفات، غير أن الآب هو آب والإبن هو إبن، ويمتنع أن يكون الآب إبناً أو الإبن آباً؛ هكذا الرجل والمرأة في الروح وفي المسيح، فتساويهما في كل شيء بالروح أمام الله وفي ميراث المسيح لا يغيِّر حقيقة أن الرجل سيبقى رجلاً وأن المرأة ستبقى امرأة.

ويلاحظ في نهاية العصر الرسولي وما بعده، أن دور الأنبياء والذين يتنبأون كان

يأتى، ليس كحالة إلهام وحسب، وإنما كوضع حمل مسئولية داخل الكنيسة كتعيين الروح القدس. و بولس الرسول يضع درجة التنبؤ ما بين درجة الرسولية ودرجة المعلمين: «وضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين...» (١ كو١٢: ٢٨)؛ ولكن على أساس أن تسلسل الدرجات الرئاسية هو في الكنيسة بالنسبة للرجال فقط؛ أما قيمة الموهبة – بحد ذاتها – كتنبؤ بالنسبة للنساء، وإن بقيت خارج الترأُّس على الجماعة الرسمية المجتمعة في الكنيسة، فهي تبقى في كرامتها كدرجة أعلى من درجة التعليم، وإن كانت لا تعطيها حق الترأُّس، وسنأتى على شرح ذلك في حينه.

و يعلّق القديس إبيفانيوس أسقف قبرص (٣١٥–٤٠٣م) على ذلك بقوله:

[لم يحدث قط أن اختيرت امرأة لتكون (صاحبة درجة) بين القسوس والأساقفة، ولكن قد يقول واحد أنه كانت توجد أربع عذارى، بنات فيلبس المبشر، كن يتنبأن، هذا صحيح ولكن لم يقمن بممارسة الكهنوت (ἱερατεία). وأنه حقاً توجد في الكنيسة درجة (طغمة) الشماسات (τάγμα διακονισσῶν)، ولكن غير مسموح لهن أن يعملن كقسوس، أو يقمن بأي عمل له علاقة بهذه الوظيفة](١).

هذا بالإضافة إلى أن البنات الأربع العذارى اللواتى لفيلبس المبشر أحد السبعة الشمامسة، اللواتى سبق ذكرهن في ص ٢٧، هاته النبيات عشن حياتهن إلى سن متقدمة في عذراو يتهن، مما يدل على أنهن كن نذيرات بتولية على مستوى الرهبنة، إنما داخل بيت أبيهن، وقد وصلتنا أخبار هاته العذارى النبيات في سرد يوسابيوس القيصري لتاريخ الكنيسة على فم غايس:

[أن هاته العذارى الأربع مع أبيهن فيلبس دُفنَّ معاً جميعاً في مدينة هيرابوليس التي خدم فيها فيلبس المبشر مع بناته، و يقال على فم بوليكرات أن إثنتين منهن

(1) Epiph., pan. 79, 3.

دُفنتا في هيرابوليس، وأما الثالثة فدفنت في أفسس](٢).

ضوابط على الحقوق وأسباب ذلك:

يعود التقليد الإنجيلي، وخاصة بواسطة بولس الرسول، بعد ما صب الحقوق كلها بالتساوي على نصيب المرأة ليكون مساو ياً بالروح وفي الروح مع الرجل في كل شيء، يعود و يضع لها ضوابط، و يظهر وكأنه حر يص كل الحرص من أن تُستغل الحرية خطأً من أجل الجسد و يفلت زمام الكنيسة.

فهو في نفس الرسالة التي كتب فيها: «ليس الرجل من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل **في الرب**، لأنه كما أن **المرأة هي من الرجل**، هكذا **الرجل أيضاً هو بالمرأة**» (١ كو١١: ١١و١٢)، وهكذا يبدو كل شيء وكأن المرأة قد دانت لها الرئاسة في الكنيسة؛ يعود توًّا إلى وضع كل حق في حدوده ونصابه. فالحقوق التي مُنحت للمرأة هي روحية صرف، فهي لها المسيح ككل، ولها الروح القدس والأسرار والمواهب جميعاً على مستوى الروح، لميراث نصيب مساوٍ تماماً(٣) ومشترك في كل شيء مع الرجل، في المسيح لله!! ولكن حينما ينحدر بولس الرسول إلى الكنيسة التي لا تزال تعيش على الأرض تحت نير الجسد ووسط عالم شرير ومعاثر حتمية، يبدأ ينظر للمرأة كما ينظر إليها إنسان هذا الدهر. فهي أنثى، وموضع التفات، ومصدر إعثار خطير بصوتها ووجهها وكيان جسدها، بل وفي كل حركة وسكنة من حركاتها وسكناتها.

إذن طالما نحن نعيش في الجسد فيتحتم أن نتحاشى إعثار الجسد وخاصة داخل الكنيسة، وعليه يلزم للمرأة مراعاة الآتى:

أولاً: ممنوع الكلام في الكنيسة بالنسبة للنساء:

«لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن λαλεῖν **بل يخضعن كما يقول الناموس „أيضاً„** (أو بحسب ما يقوله الناموس

(2) Euseb., Hist. Ecc. 3, 31, 3, 4.

(٣) ١ كو١١:١١.

καθὼς ὁ νόμος λέγει)، ولكن إن كنّ يُردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن في البيت لأنه **قبيح بالنساء أن يتكلمن** λαλεῖν **في كنيسة**، أم منكم خرجت كلمة الله؟ أم إليكم وحدكم انتهت؟ إن كان أحد يحسب نفسه نبياً أو روحياً فليعلم ما أكتبه إليكم **أنه وصايا الرب**، ولكن أن يجهل أحد فليجهل» (١ كو١٤: ٣٤–٣٨).

هنا يكشف لنا بولس الرسول عن أمرين غاية في الأهمية:

الأمر الأول هو أن التقليد بحسب الناموس القديم كان يمنع المرأة أن تتكلم في كنيسة (مجمع مؤمنين يجمع رجالاً ونساءً).

ثم الأمر الثاني هو أن موضوع صمت المرأة في الكنيسة هو ضمن وصايا الرب التي استلمها الرسل و بالتالي بولس الرسول من المسيح، وعليه فإن بولس الرسول من هذا المنطلق وبهذه الثقة يقطع في الأمر ويجعله غير قابل للمناقشة، و يوصي الروحيين وذوي المواهب أن يثقوا أن هذه هي وصية الرب لكي يتمسكوا بها. ولكن إن تماحك أحد وأراد أن يتجاهل هذا فإنه يتركه على جهله: «ولكن إن كان أحد يظهر أنه يحب الخصام فليس لنا نحن عادة مثل هذه ولا لكنائس الله» (١ كو١١: ١٦).

كذلك نود أن نشرح كلمة «يتكلمن» (λαλεῖν)، فهي تعني الكلام بأسلوب التعليم الليتورجي الوعظي كما جاءت في سفر العبرانيين: «اذكروا مرشديكم الذين **كلموكم** (ἐλάλησαν) بكلمة الله» (عب١٣: ٧). وهذا ما يقصده بولس الرسول بأكثر وضوح في رسالته إلى تيموثاوس.

ثانياً: ممنوع على النساء أن يعلّمن الرجال أو يتسلطن عليهم في الكنيسة:

«لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع (ὑποταγῇ). ولكن لست آذن للمرأة أن تعلّم (διδάσκειν) وتتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت. لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء. وآدم لم يُغوَ ولكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدي. ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل» (١ تي٢: ١١–١٥).

هنا يهدف بولس الرسول من منع المرأة عن تعليم الرجال، ليس لأن التعليم ممنوع عليهن أو ممتنع لديهن، لأن كل المواهب يشتركن فيها، ولكن لأن تعليم المرأة للرجال في الكنيسة يعطيهن الرئاسة أو التسلط على الرجل، وهذا يراه بولس الرسول غير جائز. لذلك فهو يؤكد على المرأة بضرورة **السكوت بكل خضوع** في حضرة الرجال داخل الكنيسة، كأمر نهي، حتى لا يتسلطن على الرجال. ومن هنا يأتي المنع البات من الدخول في الرسامات التي تعطي حق التعليم داخل الكنيسة، و بالتالي الرئاسة على جماعة المؤمنين، وهنا ينغلق الباب أمام المرأة للإشتراك في إقامة الإفخارستيا.

فإن كان قد سبق لبولس الرسول أن أعطى صورة تحمل التصريح الواضح للمرأة للصلاة والتنبؤ في الكنيسة كإحدى المؤمنات، وعلى أحسن حال في وسط النساء، فهو هنا يقطع الطريق على المرأة من أن ترفع صوتها بالتعليم، الأمر الذي يؤدي حتماً إلى تأدية خدمة الإفخارستيا التي تحمل معنى الترأس على جماعة المؤمنين ككل.

الأسباب التي يقدمها بولس الرسول لهذا المنع:

من جهة المساواة في الحقوق والمواهب التي تجعل المرأة شريكة مع الرجل ومساوية له تماماً في الميراث السمائي مع المسيح في الله، فبولس أكد ذلك ببراهين، ولكنه حينما واجه إمكانية استخدام هذا الحق للترأس على الرجال، امتنع أن يعطي التصريح للنساء كلية للتعليم داخل الكنيسة، الذي يحمل أيضاً معنى عدم التصريح لهن بقبول الرسامات الرئاسية. وهنا بدأ بولس الرسول أيضاً يعطي البراهين، التي تبدو لأول وهلة أنها تنقض البراهين التي تصرّح بالصلاة والتنبؤ داخل الكنيسة.

فهو يقول هنا مدللاً على عدم جواز الترأس على الرجل «لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء». هذه هي العلة الأولى التي تمنع ترأس حواء على آدم، أي المرأة على الرجل، وإلا نكون قد خالفنا نسق الخَلْق الأول الذي كان حسناً جداً قبل الخطيئة.

ثم يعطي السبب الثاني: «وآدم لم يُغوَ، لكن المرأة أُغويت، فحصلت في التعدي»؛

وهذه هي العلة الثانية وهي الأخطر، فكيف يصرَّح للمرأة أن تعلِّم الرجل النصح والإرشاد أو تقيم إفخارستيا الصلح والغفران، وهي العنصر الأضعف إزاء الغواية والخطأ؟ وهي التي حصلت في التعدي وأوقعت آدم معها؟

هنا يرى بولس الرسول أنه إذا كانت حواء (المرأة) قد قدمت الخطيئة لرجلها، فإنه من اللائق والواجب أن يُقدِّم لها النصح أولاً، ثم الصفح والغفران (الذبيحة) بواسطة الرجل!!

ولكن هذا كله لا يمنع أن تكون حقوق المرأة، القائمة في عطايا الروح القدس وفي جسد المسيح وفي ملكوت الله، مساوية تماماً لتلك التي للرجل وواحدةً معه!...

ويؤكد على هذا المعنى العالم ترتليان (١٦٠ــ٢٤٠م) من شمال أفريقيا بقوله:
[إن بولس الرسول قد أوصى المرأة بالصمت في الكنيسة بحيث لا تتكلم ولا حتى تسأل. أما حقها في أن تتنبأ فقد سبق أن أثبته ضمناً لما طالبها بأن تتغطى حينما تتنبأ](٤).

ثالثاً: زي الصلاة داخل الكنيسة بالنسبة للمرأة:

«فأريد أن يصلي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال، وكذلك أريد أن النساء (في الصلاة) يزيِّن ذواتهن **بلباس الحشمة مع ورع وتعقل، لا بضفائر، أو ذهب أو لآلىء أو ملابس كثيرة الثمن**، بل كما يليق بنساء **متعاهدات بتقوى الله، بأعمال صالحة**، ولتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع» (١تي٢: ٨ــ١١).

هنا يعطي بولس الرسول صورة لما ينبغي أن يكون عليه زي المرأة في الصلاة داخل الكنيسة وسط الجماعة، أي أنه يوضح ضمناً أن المرأة تشترك بنصيبها في الصلاة والتنبؤ،

(4) Adv. Marcion, 5:8.

إن كن صاحبات مواهب. كما سبق في ١كو١١: ٤و٥، ولكن في حدود الحشمة.

الجديد هنا أن بولس الرسول يضع ضوابط لحرية وحقوق المرأة في الروح، لكي لا تمتد إلى الجسد، لئلا تصير المرأة مرة أخرى مثل حواء موضع غواية وسبب تعدي؛ لباس المرأة الآن يذكرنا بالثمرة المحرَّمة التي قدَّمتها حواء لآدم في زي جميل، «جيدة للأكل... بهجة للعيون... شهية للنظر» (تك٣: ٦). والنتيجة: التعرِّي من نعمة الله؟ لكليهما؟؟!!



(٨)

رتبة الأرامل χῆραι

بتتبع موضوع الأرامل في العهد الجديد نجده يمر بثلاثة أنواع منهن، لا علاقة للواحدة بالأخرى:

أولاً: يبدأ موضوع الأرامل في سفر الأعمال بالنوع العام الذي يرتزق من الكنيسة بسبب عدم وجود مصادر معيشة لهن.

— «وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين أن أراملهم كُنَّ يُغفل عنهن في الخدمة اليومية» (أع ٦: ١).

— «فقام بطرس وجاء معهما، فلما وصل صعدوا به إلى العلية، فوقفت لديه جميع الأرامل يبكين ويرين أقمصة وثياباً مما كانت تعمل «غزالة» وهي معهن» (أع ٩: ٣٩).

واضح أن هذا النوع من الأرامل بدأن يرتزقن من خيرات الكنيسة، ثم بدأن يشتغلن معاً بأيديهن ليعملن ملابس وأقمصة لعلها ملابس الخدمة؟ وهنا بداية عمل الأرامل في الكنيسة إنما على مستوى النشاط البدني وهو أقل مفهوم لكلمة διακονία.

ثانياً: «وأما أنت فتكلم بالتعليم الصحيح أن يكون الأشياخ... كذلك العجائز = πρεσβύτιδες (النساء المتقدمات في السن — الأرامل — وهن المقابل لمرتبة الشيوخ في الرجال) **في سيرة تليق بالقداسة**، غير ثالبات، غير مستعبدات للخمر الكثير، **معلمات الصلاح** (التعليم الحسن = καλοδιδάσκαλοι) لكي ينصحن الحدثات...» (تي ٢: ١—٤).

هنا «أرامل» على المستوى العام، وليس نظاماً محدداً. ولكن لكي يكون لهن دور في الخدمة، يشترط عليهن شروطاً وأن تكون لهن سيرة في القداسة.

وفي شرح العلامة أوريجانس لرسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، يقارن بين فيبي خادمة كنيسة كنخريا وبين هؤلاء الأرامل اللاتى يذكرهن بولس الرسول في الرسالة إلى تيطس.

ثالثاً: «أكرم الأرامل اللاتى هن **بالحقيقة أرامل**...، التي هي بالحقيقة أرملة ووحيدة وقد ألقت رجاءها على الله وهي تواظب على الطلبات والصلوات ليلاً ونهاراً... فأوصِ بهذا لكي يكنّ بلا لوم... لتكتتب أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة امرأة رجل واحد، مشهوداً لها في أعمال صالحة، إن تكن قد ربّت الأولاد، أضافت الغرباء، غسلت أرجل القديسين، ساعدت المتضايقين، اتّبعت كل عمل صالح» (١ تى ٥: ٥—١٠).

هذه هي الدرجة الأخيرة والكاملة في درجات الأرامل، التي ينعتها بولس الرسول أنها **أرملة حقيقية**، وشروطها أدق جداً وأعمق من كل ما سبق، إذ يلزم أن لا تكون دون الستين سنة لأنها ستدخل ضمن العاملين في الكنيسة وشهود الإيمان، فيلزم ضمان السن لبلوغ مستوى الرزانة والخبرة. ثم يشترط أن تكون وحيدة، أي ألقت كل رجائها على الله الذي ستخدمه، وأن تكون مواظبة على الصلاة والطلبة ليلاً ونهاراً، بمعنى صلوات الليل وصلوات النهار المحددة، هذه تستحق في نظر بولس أن تُكرَّم.

نحن هنا نواجه اتجاهاً نسكياً محدداً، وحياة روحية داخلية عميقة، وحياة تأملية تعيشها الأرملة، غير ما سبق من درجات الأرامل اللواتى تتجه حياتهن نحو العمل وأداء الخدمات نحو الجماعة. ولهذا — ولأول مرة — يتحدد طقس معين لهؤلاء الأرامل، إذ تتسجل أسماؤهن في سجل الكنيسة عندما يستوفين هذه الشروط.

ومن هذا يتضح لنا أن الأمر ليس هيِّناً، إذ يلزم الإختبار الدقيق، ثم الإختيار الذي يكون في أضيق الحدود، ليتكوَّن منهن هيئة محددة داخل جماعة الكنيسة الرسمية، في موازاة الدرجات الكهنوتية الأخرى، وإن كانت لا تُحسب منها.

اصطلاح الأرملة يدخل تدريجياً في الطرف النهائي لمسلسل الرتب الكهنوتية، وإن كان لا يُحسب منها:

١ — بعد رسائل القديس بولس الرسول، تمدنا النصوص الكنسية بمؤلفات من عصر الآباء الرسوليين يبدأ فيها نظام الأرامل يدخل كنظام كنسي محدد:

+ **فالقديس بوليكاربوس** (١) هو أول من دعاهم «مذبح الله θυσιαστήριον». وهذا الإصطلاح يتكرر بعد ذلك بكثرة، وهو مأخوذ من وصف القديس بولس الرسول لهن «أنهن يواظبن على الصلاة والطلبة ليلاً ونهاراً». من هنا نشأت شفاعتهن في نظر الآباء الرسوليين.

+ **والقديس إغناطيوس** (٢) عندما يتكلم عنهن، يدعوهن «**العذارى المدعوات أرامل**». وهكذا تبدأ أول نقلة لكلمة «الأرامل» من معناها العادي، لتدخل ضمن الترتيب أو النظام الكنسي.

+ **هرماس الأسقف** (٣) يعطينا صورة لإمرأة تُدعى «غراتيا»، كان عملها معه أن تنقل الرؤى الروحية التي يراها، لتقصّها على الأرامل الأخريات والأيتام، بينما كان يقرأها هرماس على الشيوخ. وهكذا يبدو أن «غراتيا» كانت في درجة الأرامل، مما يوحي لنا أن درجة الأرامل كان منوطاً بها تعليم النساء.

+ **ولكن القديس بولس الرسول هو أول من أشار إلى درجة الشماسية دون تحديد الإسم:**

فبعد أن يذكر الرسول شروط الأسقف ثم شروط الشمامسة، يستطرد قائلاً: «كذلك يجب أن تكون النساء ذوات وقار، غير ثالبات، صاحيات، أمينات في كل شيء. ليكن الشمامسة كلٌّ بعل امرأة واحدة، مدبرين أولادهم وبيوتهم حسناً» (١ تي ٣: ٨—١٣).

(1) Polycarp., Phil. 4:3.
(2) Ignat., ad Smyrn., 13:1.
(3) Hermas., Vis. 2:3.

واضح جداً من تسلسل النص أن القديس بولس الرسول لا يقصد النساء عامة، بل الشماسات النساء، لأنه يضعهن بموازاة الشمامسة الرجال، ثم في آخر الدرجات. ثم يعود فيفرق بين هؤلاء الشماسات النساء وبين النساء زوجات الشمامسة بعدهن. فهنا كلمة «النساء» التي أوردها القديس بولس الرسول تحمل معنى اصطلاحياً مخصصاً، فهي تعني أنها «وظيفة كنسية للخدمة»، لأنها ذات شروط.

فكما خرج مع الرسل أخوات هن زوجات، للخدمة المكمِّلة لخدمة الرسل تجاه النسوة ولكن بدون طقس، وكما خرج من تحت الروح القدس نبيّات بموازاة الأنبياء في الكنيسة إنما يخدمن النسوة بدون طقس، وكما بموازاة الشيوخ وُجدت العجائز اللاتى يخدمن الكنيسة بدون طقس؛ كذلك نجد في مقابل الشمامسة شماسات يخدمن التعليم للنسوة ولكن بدون طقس. أي أننا نلاحظ أنه في مواجهة كل خدمة للرجال توجد خدمة محددة للنساء.

+ **خطاب المؤرخ «بليني» الصغير يلقِّب هؤلاء الخادمات بـ«الشماسات»:**

في هذا الخطاب الموجه إلى الإمبراطور تراجان، في بداية القرن الثاني الميلادي، فيما يختص بمسيحيي بونتُس بآسيا الصغرى، يقول المؤرخ بليني:

[لقد قررت أنه صار من الضروري أن أحصل على معلومات بالتعذيب من امرأتين خادمتين — ancillae — تُدعيان عندهم بالشماسات، (ministrae)](٤).

أما كلمة Ministrae باللاتيني فهي التي تقابل διάκονος باليوناني. وفي هذا التسجيل، تأتي هذه التسمية ذات مدلول وظيفي إختصاصي داخل الجماعة، ولكن التسمية التي جاءت باللاتيني ancillae (أي عبدتان) تفيد شيئاً من التدنّي في الوظيفة. وهذا ينبهنا أننا هنا أمام طقس آخر غير طقس الأرامل اللاتى يحظين بالكرامة.

(4) Fr. Jean Daniélou, s. j.

كذلك فإن المفهوم المباشر لعمل الشماسات διάκονος هنا هو الخدمة. ولكن ما هي هذه الخدمة؟ هل هي خدمة داخل الكنيسة؟ علماً بأن أي خدمة للنساء داخل الطقس الكنسي لم تتعدَّ قط مساعدة الأسقف في مباشرة طقس التعميد و بالنسبة للنساء فقط، بالإضافة إلى حقهن في الإشتراك في العبادة الجماعية، وخدمة المرضى.

وهكذا يبدو واضحاً، أنه منذ هذا الوقت (بداية القرن الثاني)، بدأت خدمة الشماسات بغرض مساعدة الأسقف والشماس فيما يختص بخدمة النساء.

خطر الإنحراف، والتمادي في الحقوق التي ليست لهن:

ومما يؤيد هذا أن جماعة الرسل أوضحت لنا كيف أن النساء بدأن يأخذن نصيباً كبيراً في الخدمات الرسمية للجماعة، و بأشكال متعددة، ولكن هذا لم يمر دون شطط، لأن عظم الدور الذي كانت النساء يقُمن به في بداية انتشار الكنيسة، سهَّل لهن الرغبة في القيام بمهام كان لا حقَّ لهن فيها، بل إن دورهن الكبير هذا سهَّل لهنَّ إفساد ما هو داخل في نطاق مسئوليتهن أيضاً.

وقد بدأ تسجيل ذلك منذ القرن الثاني في كنائس الهراطقة، غير أنه ليس من السهل معرفة الحدود بين ما كان أرثوذكسياً وما كان من عمل الهراطقة.

ولكن من الأمثلة الواضحة، ما كان حادثاً عند الهراطقة المدعوين: المرسيونيت Marcionites، الذين كانوا يدعون أنهم خلفاء القديس بولس الرسول، ولهؤلاء وجَّه العلامة ترتليان أقواله هذه:

[يالهذه البجاحة التي نراها بين نساء هؤلاء الهراطقة، إنهن تجرأن أن يعلِّمن داخل الكنيسة، و يشتركن في المناقشات، ويمارسن إخراج الشياطين، مدَّعين عمل الشفاء، بل و يعمِّدن أيضاً] (٥).

وقيام النساء بالتعميد بهذه الطريقة ــ منفردات دون الأسقف ــ كان مستهجناً

(5) Praescript., 41.5; Baptism, 17:4.

حتى بين الهراطقة المرسيونيت أنفسهم.

وبهذا يحدد لنا ترتليان، بكل إحكام، أنه فيما يختص بخدمة الأسرار فإن النساء كن ممنوعات تماماً، وهو يسجل ذلك مرة أخرى بمنتهى الوضوح:

[غير مسموح للنساء أن يتكلمن في الكنيسة، وكذلك أيضاً فإنهن ممنوعات من وظيفة إعطاء التعاليم أو العماد أو تقديم الذبيحة، كما يحظر عليهن أي ادِّعاء لأداء أية خدمة من اختصاص الرجال أو فيما يختص بالأسرار عامة] (٦).

هذا فيما يخص الأسرار رسمياً؛ أما فيما يخص عمل الإرساليات والصلاة والتنبؤ داخل الكنيسة، فحقهنَّ في ذلك كان غير متنازَع عليه. وهكذا استمرت النساء في هذا المضمار الذي كان مفتوحاً أمامهن. ولكن وحتى هذا الجزء الخاص بهن، لم يمر دون إساءة وإفساد. وكتب الأبوكريفا تصف لنا إلى أي مدى شطحت النساء في أداء رسالتهن، كما في كتب الغنوسيين، وما اشتملت على ادِّعاء النسوة من الإستعلانات وكشف الأسرار، حيث كانت النسوة يرافقن قادة الهراطقة في الأسفار والأعمال، كما هو معروف في قصة هيلانة مع سيمون الساحر، ومارسيلينا مع مرقص ماجوس (مؤسس المارسيونيت)، وفيلومينا مع أبلّلوس، وكذلك دور النبيات في هرطقة المونتانيين.

لقد إدَّعى هؤلاء الهراطقة الحق الذي كان للرسل، أن يطُفن المدن مع زوجات كأخوات. ولكننا نكتشف من سيرة هؤلاء الهراطقة مع هاته النسوة، أن عمل النسوة بولغ فيه، كما أن هؤلاء الهراطقة الرؤوس استخدمن هؤلاء النساء لأغراضهن الخاصة!

العلامة ترتليان يصف رتبة الأرامل في كنيسة قرطاجنة:

يعرِّفنا العلامة ترتليان أن الأرامل كانت لهن مواضع خاصة في الكنيسة للدلالة على كرامتهن الخاصة، بل و يضع هذه الكرامة في وضع مقابل لكرامة القسوس إذ يقول إن المذنبين الذين كانوا يريدون أن يتصالحوا مع الكنيسة كان عليهم أن يتقدموا في وسط

(6) Virg. vel., 9:1.

الكنيسة «**ويسجدوا أمام الأرامل وأمام القسوس**»(٧).

[in medium ante uiduas, ante presbyteros]

ويعتبر رتبة الأرامل في الطرف النهائي من مسلسل الرتب الكنسية، إذ يقول لمن يطلب أن يتزوج مرة ثانية (من أفراد الشعب):

[كيف تطلب أن تتزوج مرة ثانية بينما هذه الزيجة محرّمة على الذين تطلبها منهم (أي على المسئولين في الكنيسة): فإن الأسقف لا يكون قد تزوج إلا من امرأة واحدة، وكذلك القسوس والشمامسة يخضعون لهذا النظام **والأرامل أيضاً**. وهوذا أنت تريد أن تستنكر سيرة جميع هؤلاء بسلوكك الذي تريده لنفسك؟!](٨).

من هذا النص يتبين أن رتبة الأرامل كانت في نظر ترتليان داخلة مع رتبة الأسقف والقس والشماس ضمن الهيئة الكنسية المسئولة عن حفظ النظام الكنسي والإرشاد، بحيث أن كل من كان يريد أن يتزوج كان عليه أولاً أن يعرض عليهم مشروعه ويستشيرهم في ذلك.

وفي مواضع أخرى يبيِّن بوضوح أن رتبة الأرامل تدخل ضمن النظام الكنسي «ordo»؛ ومعروف أن هذه الكلمة اللاتينية في كتابات ترتليان ترادف الكلمة «اكليروس» عند الكُتّاب اليونانيين المسيحيين(٩).

[كم من الرجال والنساء في نظام «ordo» الكنيسة يمارسون العفة! فقد فضّلوا أن يدخلوا في زيجة روحانية مع الله...](١٠).

---

(7) La pureté des moeurs, 13, 7 (في طهارة الأخلاق ١٣:٧)

(8) La monogamie, 11, 1 (الزواج من امرأة واحدة ١١:١)

(9) P. van BENEDEN, Ordo. über den Ursprung einer kirchlichen Terminologie, in Vigiliae christianae, 1969, txxiii, p. 161-176.

(10) Echortation à la chasteté, 13, 4 (الحث على البتولية ١٣:٤)

فالنساء اللائي ضمن نظام ordo الكنيسة في زمن ترتليان، هنّ الأرامل:

[إن الزواج للمرة الثانية يشكِّل خطراً على الإيمان وعائقاً للقداسة فإن قانون الكنيسة ووصية الرسول (بولس) يبيِّنان ذلك بوضوح، فإنها لا يسمحان للرجال الذين تزوجوا مرة ثانية أن يقودوا الكنيسة، وكذلك لا يسمحان بقبول أرملة في **النظام** ordo (أي الرتب الكنسية الرسمية) إلا إذا كانت أرملة رجل واحد. وهكذا فجميع المنتخبين في الكنيسة يُختارون من بين القديسين لأن المذبح المقام لله ينبغي أن يكون طاهراً!](١١).

وجميع هذه النصوص تبيِّن وضع المرأة في الكنيسة ومساواتها مع الرجل من جهة الكرامة، ولكن لا ينبغي أن يُفهم من ذلك أن هذه المساواة تمتد إلى المستوى الوظيفي، فترتليان يقول بوضوح:

[غير مأذون للمرأة أن تتكلم في الكنيسة ولا أن تعلم أو تعمِّد أو ترفع القرابين أو تطلب لنفسها أيّاً من الوظائف الخاصة بالرجل ولاسيا الخدمة الكهنوتية](١٢).

ولكن هذا التمايز الوظيفي لا ينفي مساواة المرأة مع الرجل على الصعيد الروحي. فترتليان يقول إن للعذارى كهنوتاً روحياً خاصاً يدعوه «كهنوت البتولية»(١٣) الذي يتم برفع الجسد كذبيحة سرية لله داخل القلب.

وكذلك يؤكد حق المرأة في أن تتنبأ بالمساواة مع الرجل (بحسب نبوة يوئيل النبي ٢:٢٨).

[إن بولس قد أوصى المرأة بالصمت في الكنيسة بحيث لا تتكلم ولا حتى تسأل. أما حقها في أن تتنبأ فقد سبق أن أثبته ضمناً لمّا طالبها بأن تتغطى حينما تتنبأ](١٤).

---

(11) A ma femme, 1, 7, 4 (إلى زوجتي ١:٧:٤)

(12) Le voile des vierges, 9, 1 (غطاء العذارى ٩:١)

(13) La parure des femmes, 2, 12, 1 (زينة النساء ٢:١٢:١)

(14) Contre Marcion, 5, 8, 11 (ضد ماركيون ٥:٨:١١)

وفي موضع آخر يبيِّن أن المرأة التي ترى رؤى وإعلانات لا تدلي بها إلا أمام الشيوخ بعد انصراف عامة الشعب:

[إن بيننا اليوم أختاً قد حصلت على موهبة الإعلانات، فهي تنالها في الكنيسة أثناء صلاة الأحد إذ تقع في الدهش بتأثير من الروح القدس، وتتكلم مع الملائكة بل وأحياناً مع الرب، وترى وتسمع أسراراً وتقرأ ما في قلوب الآخرين وتعطي العلاج للمحتاجين.

فسواء كنا نقرأ الكتب أو نسبح بالمزامير أو نلقي العظات أو نرفع الصلوات لله، فكل هذه تصير لها فرصة للرؤى. وذات يوم قلنا في العظة شيئاً ما عن النفس بينما كانت هذه الأخت تحت تأثير الروح. فلما انتهت الصلاة وانصرف الشعب قالت لنا بحسب عادتها في الإدلاء بما رأته ــ فإن رؤاها تسجَّل بعناية شديدة حتى تكون محققة ــ قالت لنا: «لقد ظهرت لي نفس في هيئة جسمية، فكانت تبدو مثل روح ولكن ليس من نوع فارغ و باطل بل كان يبدو أنه يمكن لمسها. وكانت رقيقة ومضيئة بزرقة السماء و بشكل مشابه تماماً لجسم الإنسان»](١٥).

ومن هذا يظهر أن المرأة التي كانت ترى رؤى لم تكن توقف القراءات أو التسبيح بالمزامير أو سائر الصلوات، بل كانت تنتظر نهاية الإجتماع وتدلي بها للقسوس بعد انصراف الشعب حتى يسجِّلوها ويحققوها، أي يتحققوا من صحتها وأصالتها.

في كتاب «التقليد الرسولي» لهيپوليتس:

لقد وضع هيپوليتس هذا الكتاب حوالي سنة ٢١٥م، وهو يعتبر (بعد الديداخى) أقدم وثيقة تقدم لنا التعليم الشفاهي المسلَّم من الرسل للكنائس. وقد أخذت عنه معظم التسجيلات اللاحقة لقوانين الرسل(١٦).

---

(15) L'âme, 9, 4 (النفس ٩:٤)

(١٦) لقد أدرج كتاب «التقليد الرسولي» ضمن قوانين الرسل المعروفة في الكنيسة القبطية. فالقوانين من ٢١ إلى ٤٧ من الكتاب الأول تقدم لنا بالحرف الواحد نص هذا الكتاب المبكر الذي تسجلت فيه تعاليم الرسل. =

يوصي هذا الكتاب بتكريم الأرامل، بل إنه يعتبر ذلك من شروط قبول الإيمان حتى أن الذي لا يتمم ذلك لا يكون أهلاً لقبول المعمودية:

[حينما يُنتخب الذين سينالون المعمودية يجب أن تُفحص حياتهم: هل عاشوا باستقامة لما كانوا موعوظين؟ **هل أكرموا الأرامل؟** هل افتقدوا المرضى؟ هل قاموا بمختلف أعمال البر؟](١٧).

ويحدد هيپوليتس أن رتبة الأرامل هي نظام كنسي، وأن الإنضمام لها يكون تحت شروط و باختبار دقيق، ولكن لا يتضمن ذلك رسامة كنسية، لأن الرسامة تكون لأفراد الإكليروس لإقامة الليتورچيا:

[حينما تقام καθίστασθαι أرملة لا تتم رسامتها χειροτονεῖν (وضع اليد)، ولكنها تُعيَّن فقط بقبول هذا اللقب. وإن كان زوجها قد مات منذ زمان كثير فلتُقَم، أما إن كان قد مات عن قريب فلا يجب أن تؤتمن، بل حتى وإن كانت متقدمة في السن لابد من اختبارها زماناً ما (عسى أن تريد أن تتزوج ثانية). فإن الشهوات أحياناً تشيخ مع الذي يعطي لها مكاناً.

فيجب أن تقام الأرملة بالكلمة فقط ثم تنضم للأرامل الأخريات، ولكن لا توضع عليها اليد لأنها لا ترفع القرابين ولا تشترك في الخدمة الليتورچية. فإن الرسامة تكون لأعضاء الإكليروس من أجل الخدمة الليتورچية. وأما الأرملة فهي مقامة من أجل الصلاة العامة المفروضة على الكل](١٨).

و يبيِّن هيپوليتس أن هناك فرقاً بين رتبة الأرامل ورتبة العذارى، فهؤلاء الأخريات لا يقبلن لا رسامة بوضع اليد ولا حتى تعييناً بالكلمة كمثل الأرامل، بل يكون لهن فقط

= وعند ذكر شيء من هذا الكتاب سنشير في الهامش إلى الموضع المقابل من قوانين الرسل المعروفة في الكنيسة القبطية.

(17) Tradition Apost. 20 التقليد الرسولي ٢٠، يقابل في قوانين الرسل قانون ١: ٣٣

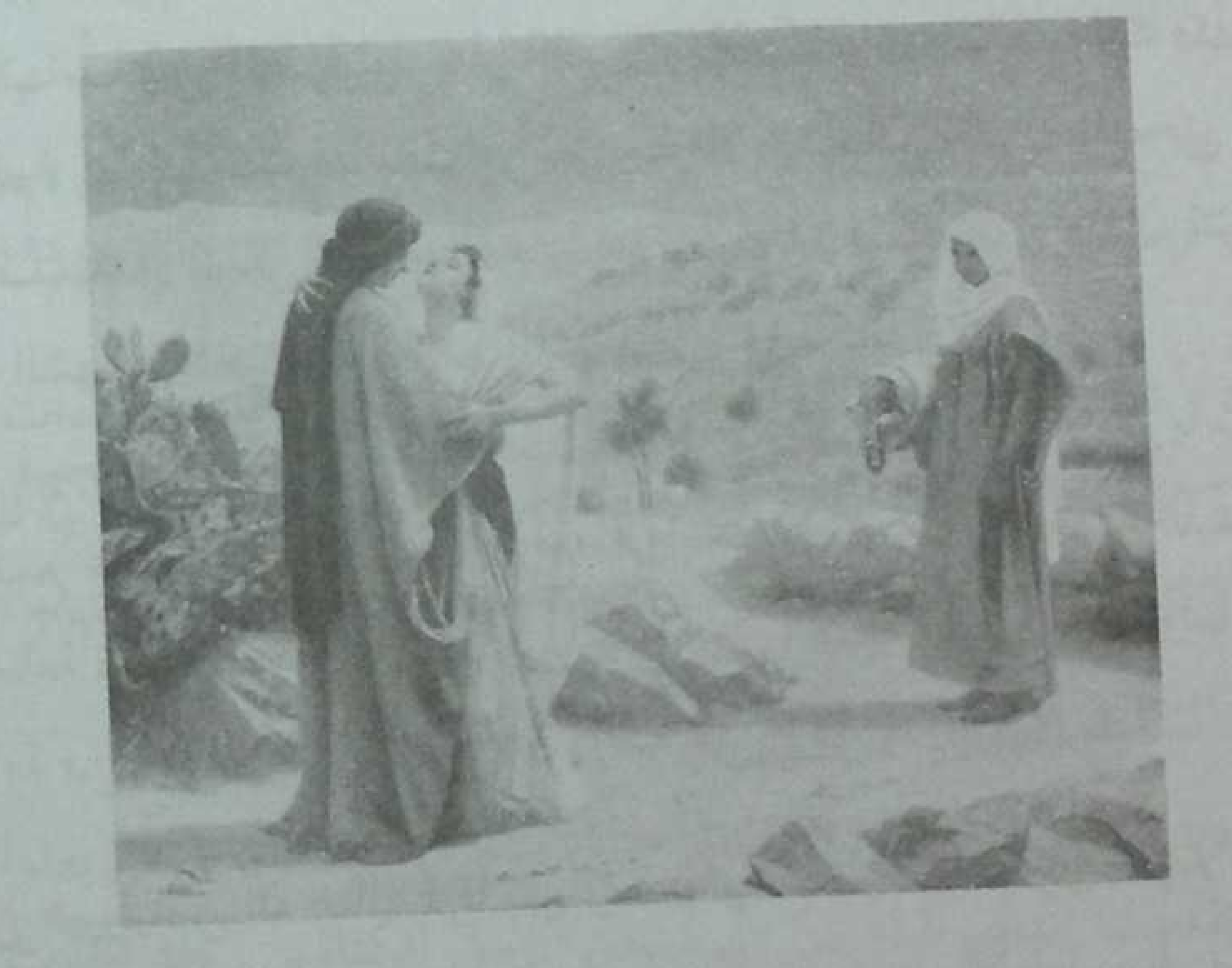
(18) Ibid, 10. نفس المرجع السابق ١٠، يقابل في قوانين الرسل قانون ١: ٢٥

قصد داخلي προαίρεσις (١٩) داخل القلب من نحو حفظ البتولية وممارسة النسك والصلاة.

لكنه يعود و يبيِّن أن هذه السيرة لها قيمة كنسية ممتازة. فالعذارى يشتركن مع الأرامل في حمل عبء الكنيسة كلها من جهة الصلاة من أجلها:

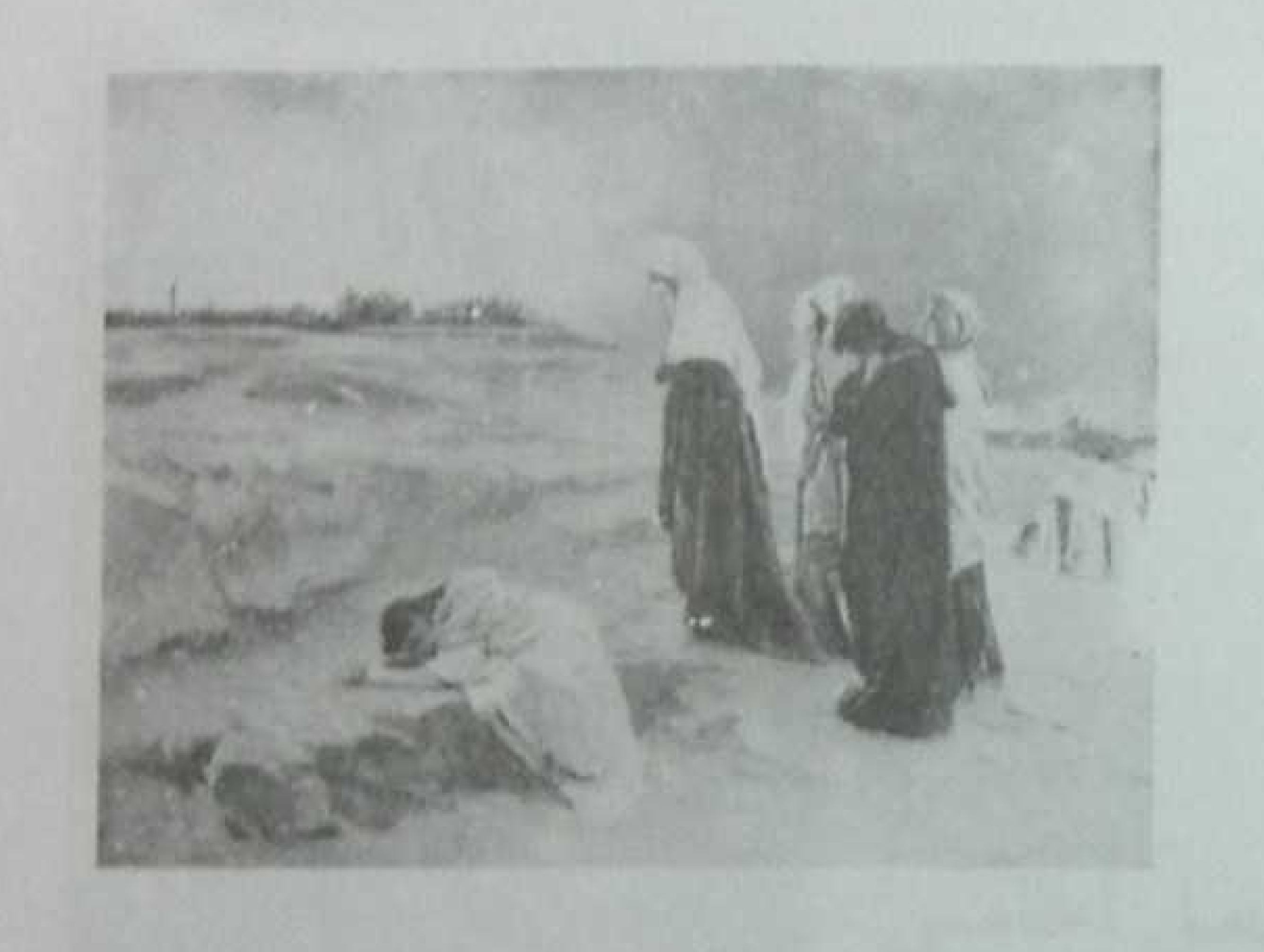
[ينبغي على الأرامل والعذارى أن يَصُمْن كثيراً و يصلين من أجل الكنيسة](٢٠).

(٩)



(19) Ibid, 12. نفس المرجع السابق ١٢، يقابل في قوانين الرسل قانون ١ : ٢٦

(20) Ibid, 23. نفس المرجع السابق ٢٣، يقابل في قوانين الرسل قانون ١ : ٣٥

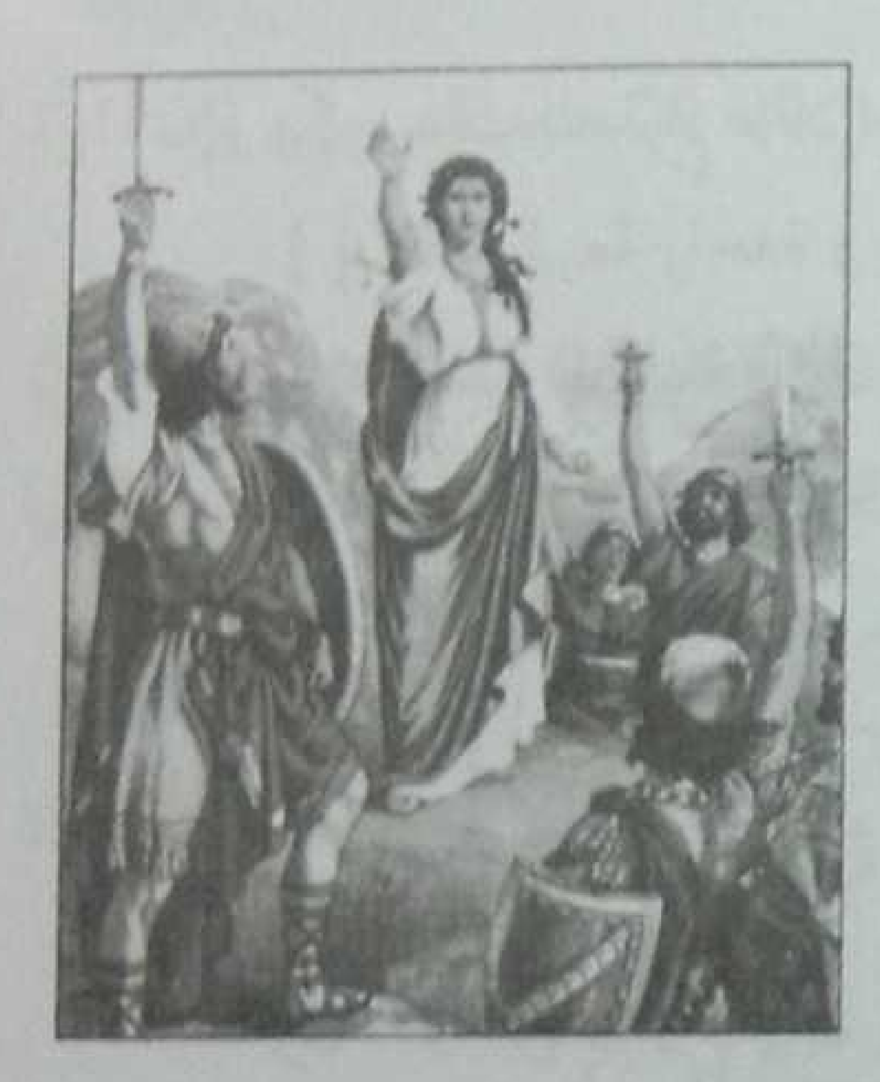


التلاميذ هربوا،
والمريمات وقفن ينظرن الصليب من بعيد.



ثم المريمات حاملات الطيب فجر القيامة.

أمانة المرأة التي لا تخور ولا تخاف في أصعب مواقف الخطر، حتى تكمل واجبات العزاء، بروح الأمومة التي تتحدى الموت ــ لذلك كانت أول من رأى القيامة (مت٢٧: ٥٥و٥٦)، (مر١٥: ٤٠و٤١)، (لو٢٤: ١٠)، (مر١٦: ١و٢).



(١٠)

الفصل الخامس

اكليمندس الإسكندري
يؤكد تساوي الرجل والمرأة على المستوى الروحي

[الرجل والمرأة لهما نفس القيمة الروحية ἀρετή](١).

و يؤكد اكليمندس أنهما متشابهان في كل شيء ὅμοια πάντα فلهما الحياة واحدة والطعام واحد والتنفس واحد والحواس واحدة... إلخ. فكيف لا تكون لهما أيضاً قيمة روحية واحدة ἀρετή و بالتالي أيضاً سيرة روحية واحدة ἀγογή (٢)؟

[إننا نعترف أن نفس الطبيعة تكون في كلا الجنسين و بالتالي يكون لهما نفس القيمة الروحية ἀρετή](٣).

---

(1) Pedag., I, 10, 1

وكلمة ἀρετή التي تُترجم عادة فضيلة، لها في اليونانية معنى أكثر شمولاً بحيث يُفضل ترجمتها بعبارة: «قيمة روحية» أو «مستوى روحي».

(2) Pedag., I, 10, 2.

(3) Strom., IV, 58, 4.

و يكرر ذلك بتصميم قائلا :

[إن لهما طبيعة واحدة و بالتالي قيمة روحية ἀρετή واحدة] (٤).

[إن نفس الطبيعة يكون لها نفس القيمة الروحية بعينها] (٥).

[نحن لا نقصد بذلك طبعاً أن المرأة، من حيث كونها امرأة، يكون لها نفس طبع الرجل، فمن اللائق جداً أن يكون لكل من الجنسين ما يتميز به بحيث يكون أحدهما مؤنثاً والآخر مذكراً. فنحن نُقرّ أن من خاصية المرأة أن تحبل وتلد، وذلك يختص بصفتها كإمرأة ولا يختص بكيانها البشري العام. وأما فيما ينعدم الإختلاف بين الرجل والمرأة فإنهما يعملان نفس العمل و يشعران بنفس الشعور. لذلك في المجال الذي تتساوى فيه المرأة مع الرجل، أعني في مجال النفس، فإنها تصل إلى نفس الفضيلة، ولكن في المجال الذي تختلف عنه أعني بسبب صفاتها الجسدية، يكون من اختصاصها الحمل والتدبير المنزلي] (٦).

غير أن هذا الإختلاف الجسدي عينه يعتبره اكليمندس اختلافاً مؤقتاً وموقوفاً على هذه الحياة الأرضية فقط، وهويستند في ذلك على كلمات الرب القائل: « أبناء هذا الدهر يزوِّجون و يزوَّجون، ولكن الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات فلا يزوِّجون ولا يزوَّجون... بل يكونون كالملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة » (راجع لو ٢٠ : ٣٤ـ٣٦) (٧).

لذلك في المستوى الروحي، لا تختلف المرأة عن الرجل بل يكون لها نفس الفرص الروحية، فإن لهما نفس الإيمان بالله ونفس الرجاء ونفس المحبة ونفس الطاعة لله، و ينتميان إلى نفس الكنيسة، و يسعيان نحو الخلاص الواحد بعينه و ينالان في سبيل ذلك نعمة متساوية، و يكون لهما نفس المعلم الإلهي = Pedagogue (٨).

(4) Strom., IV, 59, 1.
(5) Strom., IV, 59, 3.
(6) Strom., IV, 59, 4—60, 1.
(7) Pedag., I, 10, 3.
(8) Pedag., I, 10, 2.

وإن كان الإستشهاد هو أسمى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان المسيحي، فإن المرأة تتساوى في ذلك أيضاً مع الرجل:

[إن كان جيداً للرجل أن يموت من أجل الفضيلة والحرية والخلاص، فإن المرأة تتساوى معه في ذلك. فإن هذه السيرة ليست وقفاً على طبع الرجال ولكنها تختص بالصالحين] (٩).

وكذلك يتساويان في طلب الحكمة، لذلك يفتتح الكتاب الرابع من الستروماتا بقوله:

[إن محبة الحكمة واجبة للرجل والمرأة على حد سواء] (١٠).

و بذلك يكون اكليمندس قد فاق جميع الذين سبقوه في التأكيد على تساوي الرجل والمرأة على المستوى الروحي، غير أنه في ذلك لا يستحدث شيئاً جديداً بل يمتد بما جاء في الكتاب المقدس أن: « الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب » (١ كو ١١ : ١١)، وبما جاء أيضاً في التقليد الكنسي السابق له، فإننا نقرأ للشهيد يوستينوس:

[لقد خلق الله النساء قادرات أن يَصِلْن إلى كل بر وكل فضيلة] (١١).

وقد أسهب الآباء في العصور اللاحقة في توضيح تساوي المرأة مع الرجل من الناحية الروحية وعلى الأخص في معرض حديثهم عن البتولية المسيحية (١٢).

دور المرأة من نحو الرجل في نظر اكليمندس الإسكندري:

يفسّر اكليمندس كلمات بولس الرسول هكذا:

[إن الرأس هو الجزء القيادي، وبهذا المعنى قيل إن « رأس كل رجل هو المسيح وأما رأس المرأة فهو الرجل » (١ كو ١١ : ٣). فالرجل يقود المرأة بسبب كونه

(9) Strom., IV, 67, 4. أنظر نفس الفكرة عند ذهبي الفم في تفسيره ٢ تى ٤ : ١٠
(10) Strom., IV, I, 1.
(11) Justin., Tryph., 23, 5.
(12) Greg. Nyss., De virg., 20, 4, 35; Cyprien, De hab. virg., 2; 4.

«صورة الله ومجده» (١ كو١١: ٧)](١٣).

وأما المرأة فقد خُلقت لتكون معينة للرجل ونظيرة له (تك ٢: ١٨)، وتظهر معونتها على الخصوص في الأعمال المنزلية التي تكون اختصاصها الأول(١٤)، وفي حالة مرض رجلها حيث يجد فيها خير معين(١٥)، بل وفي المجال الروحي حيث تكون «معينة لحفظ الإيمان بالمسيح»(١٦).

و يركز اكليمندس على هذه النقطة الأخيرة حيث يبرز قدرة الزوجة على التأثير على رجلها تأثيراً روحياً صالحاً، و يستشهد في ذلك بكلمات بطرس الرسول «حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة، يُربحون بسيرة النساء بدون كلمة» (١ بط٣: ١)(١٧).

[إن المرأة المتعقلة ينبغي أولاً أن تحاول إقناع رجلها أن يرافقها في الطريق المؤدية إلى الطوبى الحقيقية. ولكن إن تعذر ذلك، وجب عليها أن تسعى وحدها نحو الفضيلة وأن تطيع رجلها في كل شيء ولا تخالف إرادته البتة إلا فيما يختص بالفضيلة والخلاص](١٨).

[المرأة المحبة لرجلها يجب أن تتسلح مثله في هذه الرحلة: فليأخذا معاً في هذه المسيرة نحو السماء الزاد الصالح الذي هو الإكتفاء بالقليل مع الحكمة والوقار](١٩).

وقد سبق أن ذكرنا تعليقه على قول الرسول: «ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقي الرسل؟» (١ كو٩: ٥).

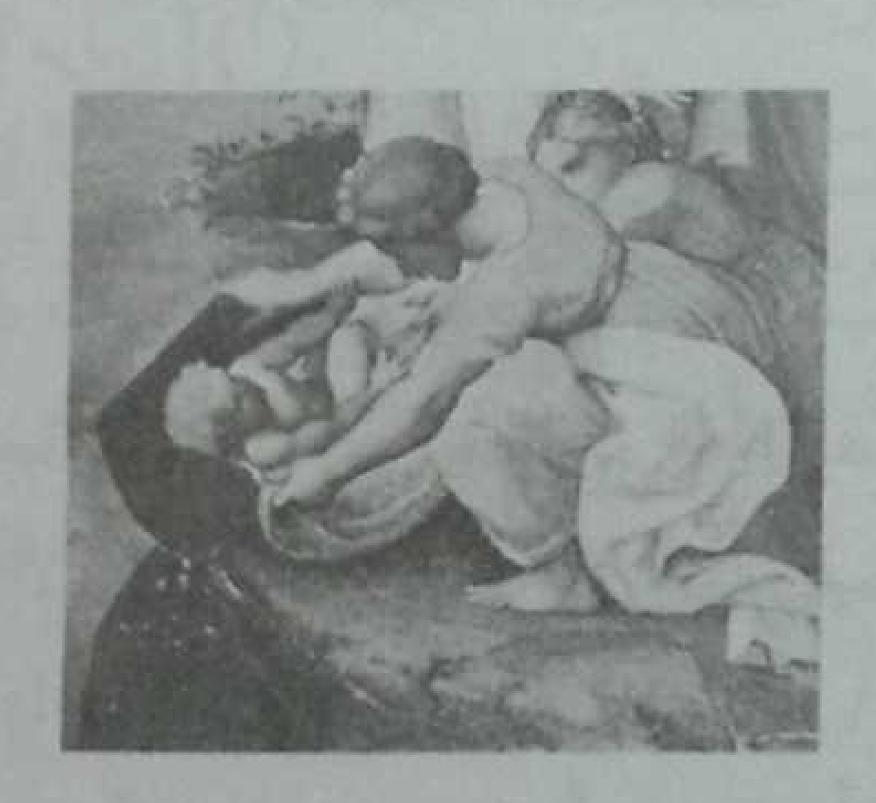
(13) Strom., IV, 63, 5.
(14) Pedag., III, 19, 1; 49, 3; 58, 1; Strom., III, 82, 3; 108, 1.
(15) Strom., II, 140, 2.
(16) Strom., III, 108, 1.
(17) Pedag., III, 66, 3.
(18) Strom., IV, 123, 2.
(19) Pedag., III, 39, 1.

[وإن الرسل الذين سلّموا أنفسهم للكرازة كما يليق بخدمتهم أخذوا معهم نساءهم، لكن لا كزوجات بل كأخوات، لكي يشتركن في الخدمة معهم: συνδιακόνους إنما في البيوت، للنساء اللائي يعشن في بيوتهن، وهكذا وصل تعليم الرب بواسطتهن إلى أماكن النساء دون أن يثير ذلك الشبهات. فإننا نعرف ذلك في كل ما كتبه المغبوط بولس في إحدى رسائله إلى تيموثاوس بخصوص النساء الشماسات πρόσωπα ἐκλεκτά](٢٠).

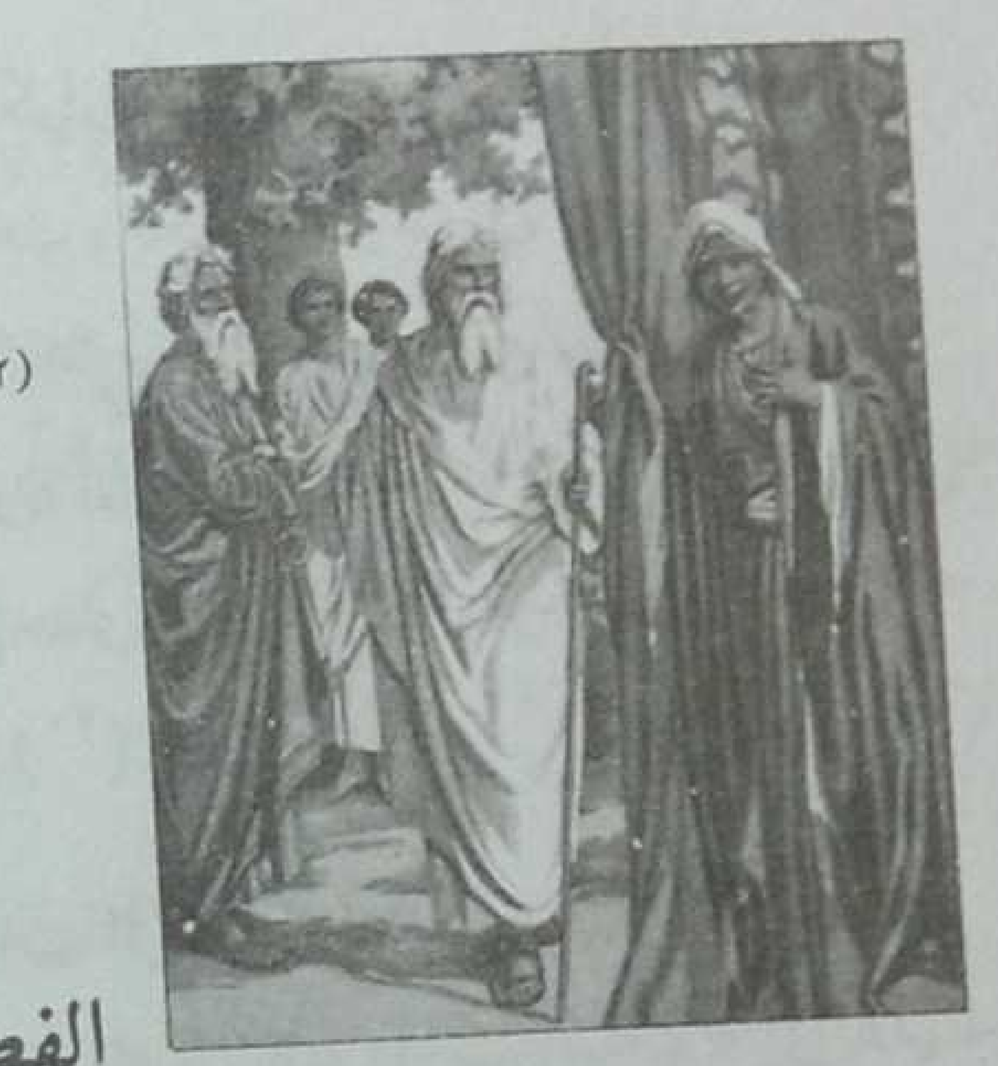
في هذا النص يُظهر اكليمندس أن زوجات الرسل كنّ البداية الأولى لإشتراك المرأة في الخدمة، ولكن «لدى النساء في المنازل». و يُرجع رتبة «الشماسات» إلى هذا الأصل الرسولي.

وفي نص آخر يشترك مع غيره من الآباء في اعتبار الأرامل كإمتداد لمسلسل الرتب الكنسية:

[هناك وصايا كثيرة في الكتب المقدسة تخص **الأشخاص المختارين** διακόνων γυναικῶν. فالبعض منها يخص الشيوخ (القسوس)، والبعض يخص الأساقفة والشمامسة والبعض يخص الأرامل](٢١).


(١١)

(20) Strom., III, 53, 3-4.
(21) Pedag., III, 97, 1.


(١٢)

الفصل السادس

العلاّمة أوريجانوس يشهد لأهمية رتبة الأرامل ولدور المرأة عموماً في الكنيسة

[ليس الزنا فقط بل والزيجة الثانية أيضاً تمنع عن القبول في **الكرامة الكنسية** ἐκκλησιαστικὴ τιμή ؛ فلا **الأسقف** ولا **القس** ولا **الشماس** ولا **الأرملة** يمكن أن يكونوا قد تزوجوا مرتين](١).

[إن بولس يريد أن جميع الذين ينالون من الكنيسة **منصباً ما** ὑπεροχήν τινα و يصيرون بذلك مفرزين بنوع ما عن بقية الشعب، لا يكونوا قد تزوجوا زيجة ثانية. فهو في رسالته الأولى إلى تيموثاوس حينما يضع شروط **الأسقفية** يقول: «إن ابتغى أحد الأسقفية فيشتهي عملاً صالحاً. فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم، **بعل امرأة واحدة**، صاحياً، عاقلاً...» (١تى٣: ١و٢). وكذلك عن **الشمامسة** يقول: «ليكن الشمامسة كلٌّ **بعل امرأة واحدة** مدبرين أولادهم وبيوتهم حسناً...» (١تى٣: ١٢). وبالمثل حينما يؤسس (رتبة) **الأرامل** يقول أن الأرملة يجب «أن لا يكون عمرها أقل من ستين سنة إمرأة رجل واحد»](٢).

(١) عظة ١٧ في تفسير إنجيل لوقا.

يظهر من هذين النصين أن رتبة الأرامل كانت معتبرة في زمان أوريجانوس «كرامة كنسية»، و«منصباً كنسياً».

[اسمع بولس يوصي الأرامل أن يكنَّ معلمات الصلاح لكي ينصحن الحدثات أن يكن «متعقلات عفيفات» (تى٢: ٣—٥)...

ومع ذلك يقول: «لست آذن للمرأة أن تعلّم ولا تتسلط على الرجل» (١تى٢: ١٢)، فهو يريد أن النساء «يعلّمن الصلاح» بمعنى أن يرشدن ليس الشبان بل «الحدثات» إلى التعقل والعفة. فإنه لا يليق بالمرأة أن تعلّم الرجل، ولكن يليق بها أن تلقّن «الحدثات» العفة ومحبة رجالهن وأولادهن (تى٢: ٤)](٣).

[«سلّموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيراً» (رو١٦: ٦)، إنه يوصي في هذا الموضع أن **النساء أيضاً ينبغي أن يتعبن من أجل كنائس الله**. فإنهن يتعبن هكذا حينما ينصحن الحدثات أن يكن عفيفات وأن يحببن رجالهن و يربين أولادهن، وأن يكنَّ متعقلات عفيفات ملازمات بيوتهن صالحات خاضعات لرجالهن (تى٢: ٣—٥). وأن يضفن الغرباء و يغسلن أرجل القديسين (١تى٥: ١٠)، ويمارسن بكل تعفف سائر الأعمال الصالحة المكتوبة بخصوص واجبات النساء](٤).

و يُقر أوريجانوس أنه من حق المرأة أن تتنبأ كما سبق أن رأينا في نبوة يوئيل النبي

(٢) تفسير مت١٤: ٢٢.

(٣) عظات في تفسير إشعياء (٦: ٣).

(٤) تفسير الرسالة إلى أهل رومية (١٠: ٢٠).

(٢:٢٨و٢٩) وفي (١كو١١:٥). ولكن هذا لا يعني أن من حقها أن تتكلم في وسط الكنيسة، فإن وصية الرسول واضحة:

«لتصمت النساء في الكنائس» (١كو١٤:٣٤).

ويقول أوريجانوس في تفسيره لهذه الآية:

[إن بنات فيلبس كنَّ يتنبأن (أع٢١:٩)، غير أنهن لم يكنَّ يتكلمن في وسط الجماعة. فإننا لا نقرأ ذلك في أعمال الرسل، كما لا نجده أيضاً في العهد القديم: فإن دبورة كانت نبية (قض٤:٤)، وكذلك مريم أخت هارون كانت تقود تسبيح النساء ماسكة الدف في يديها (خر١٥:٢٠و٢١). ولكننا لا نرى دبورة تكلم الشعب كما فعل إشعياء وإرميا. وكذلك لا نرى خَلْدَةَ النبية تكلم الشعب بل تدلي بنبوتها لمن جاء ليسألها في بيتها (٢مل٢٢:١٤—٢٠). والإنجيل نفسه يذكر حنة النبية إبنة فنوئيل من سبط أشير (لو٢:٣٦)، ولكنها لم تتكلم في وسط الجماعة. لذلك وإن كانت موهبة النبوة تُعطى لإمرأة، لكن لا يُسمح لها لهذا السبب أن تتكلم في وسط الجماعة. فمريم النبية لما تكلمت كانت أمام مجموعة من النساء. لأنه «قبيح بالمرأة أن تتكلم في وسط الجماعة» (١كو١٤:٣٥)، وأيضاً: «لست آذن للمرأة أن تعلم» فكم بالحري «أن تتسلط على الرجل» (١تى٢:١٢)، وسأثبت ذلك أيضاً من نص آخر... فإنه يقول: «لتكن العجائز في سيرة تليق بالقداسة، **معلمات الصلاح** لكي ينصحن الحدثات...» (تى٢:٣و٤). فلم يقل فقط «معلمات الصلاح»، فإنه ينبغي أن تكون النساء معلمات الصلاح ولكن ليس لكي يجلس الرجال و ينصتوا إليهن وكأنه لا يوجد رجال قادرون على توصيل كلمة الله!... «فإنه قبيح بالمرأة أن تتكلم في وسط الكنيسة» (١كو١٤:٣٥) مهما قالت، حتى وإن أخبرت بأمور عجيبة أو بأمور مقدسة، فالأمر واحد طالما أن الصوت يأتى من فم امرأة: «إمرأة في الكنيسة»، فمن الواضح أنه بقوله أن هذا غير لائق (أو قبيح) فهو يُحمِّل الكنيسة كلها

مسئولية عدم اللياقة هذه] (٥).

ويرى أوريجانوس أن رتبة «الشماسات» هي تسليم رسولي، فهو يقول في تفسيره للآية رو١٦:١: «أوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة = διάκονος (أي شماسة) الكنيسة التي في كنخريا»:

[هذا النص يثبت بسلطان الرسول أنه يمكن إقامة النساء أيضاً شماسات في الكنيسة. فإن هذه هي الخدمة التي كانت تباشرها فيبي في كنيسة كنخريا. وبسبب ذلك قد نالت مدحاً كثيراً من الرسول مع توصية خاصة بها...

فهذا النص يعلمنا أمرين: الأول أنه توجد شماسات في الكنيسة، والثاني أنه يجب الإختيار لهذه الرتبة مَن تكون قد ساعدت الكثيرين وازدادت في الأعمال الصالحة حتى تكون مستحقة أن تنال مدح الرسول] (٦).



(١٣)

---

(٥) تفسير الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (٧٤).

(٦) تفسير الرسالة إلى أهل رومية (١٠:١٧).

(١٤)

الفصل السابع

المرأة في الدسقولية (١)

تأكيدات متأخرة تقنّن أقوال بولس الرسول

من كتاب «الدسقولية» أي «تعاليم الرسل»:

تتكلم الدسقولية عن المرأة من حيث اعتبارات أربعة:

أ ــ المرأة المتزوجة.

---

(١) الدسقولية Didascalia أو كتاب تعاليم الرسل تم تدوينه باليونانية في النصف الأول من القرن الثالث عن تقاليد شفوية ترجع إلى الرسل، وتُرجمت هذه التعاليم إلى السريانية في نفس الفترة الزمنية تقريباً. وهذه الترجمة السريانية محفوظة حتى الآن وقد نشرها كونوللي:

R.H. Conolly, Didas. Apost., The Syriac version translated and accompanied by the Verona Latin fragments, Oxford 1929.

أما الأصل اليوناني فقد وصل إلينا مع بعض التعديلات والإضافات ضمن الستة كتب الأولى من مجموعة «المراسيم الرسولية» Apostolic Constitutions التي تم تجميعها حوالي سنة ٣٨٠م.، وهي المنشورة بالإنجليزية في مجموعة: Ante Nicene Fathers, Vol. VII

وهذا النص اليوناني المحفوظ في «المراسيم الرسولية» هو الذي تُرجم إلى اللغة القبطية الصعيدية ومنها إلى اللغة العربية سنة ١٢٩٥م. وقد عنى بنشر هذه الترجمة العربية د. وليم سليمان سنة ١٩٧٩، وهي التي سنعتمد عليها مع الإشارة إلى المواضع المقابلة في أصلها اليوناني المنشور بالإنجليزية في: A.N.F., Vol. VII

ب ــ الأرملة.

ج ــ العذراء.

د ــ الشماسة.

أ ــ بخصوص المرأة المتزوجة:

الباب الثاني من الدسقولية (٢) كله مخصص للنساء وعلى الأخص المتزوجات:

[المرأة لتخضع لبعلها لأن رأس المرأة هو بعلها، ورأس الرجل السائر في سبيل البر هو المسيح، ورأس المسيح هو الله وأبوه الذي على الكل] (٣).

وقد سبق أن أشرنا إلى أن هذا التشبيه لا ينفي التساوي بين الرجل والمرأة لأن المسيح أيضاً مساوي للآب تساوياً جوهرياً.

وقد عنيت الدسقولية أن تبيِّن أن هذا «الخضوع» قائم على **التوافق والمحبة المتبادلة**:

[أما تعلَمن أيتها النساء أن المرأة **الموافقة، المحبة لبعلها** ــ كم تأخذ كرامة من عند الرب الإله!؟] (٤).

لذلك أوصت أيضاً الطرف الآخر (أي الرجل) بهذا التوافق والمحبة المتبادلة:

[الرجل ليحتمل امرأته؛ لا يكون متعاظماً، ولا مطرحاً ــ لكن بالحري مترائفاً ومستقيماً، **مسرعاً في أن يرضي امرأته وحدها**، وأن يلين معها بكرامة، **وأن يكون لها حبيباً**] (٥).

وتستطرد الدسقولية في مدح المرأة المجتهدة العمَّالة وتقتبس في ذلك كلمات سفر

---

(٢) طبعة دكتور وليم سليمان سنة ١٩٧٩م، ص٥٢ــ٦٢ Didasc. I, 8-10 (ANF, Vol. VII, 394-5)

(٣) الدسقولية ٢: ١ (ص٥٢) Didasc. I, 8 (ANF, VII, 394)

(٤) الدسقولية ٢: ١٦ (ص٥٦) Didasc. I, 8 (ANF, VII, 395)

(٥) الدسقولية المقدمة: ٢٧ (ص٣٦) Didasc. I, 2 (ANF, VII, 392)

الأمثال (أم ٣١: ١٠—٣١):

[«من هو الذي يجد امرأة فاضلة مكرّمة؟ لأن هذه أفضل من حجارة كثيرة الثمن. هذه ـ هكذا يفتخرها قلب بعلها. هذه هكذا لا تعوزها النعم الصالحة لأنها تعمل لزوجها الصالحات في كل حياتها. تعمل صوفاً وغزلاً، تصنعهما أردية بيديها...

إذا رأت صنعة زراعة تشتريها، ومن ثمار أيديها زرعت حقلاً. تشد ظهرها بقوة وتثبت ذراعيها وتتمنطق بحسن العمل. وسراجها لا ينطفىء الليل كله. أيديها ممدودة إلى ما ينبغي وأصابعها ثابتة على المغزل... يقوم أولادها ليصيروا أغنياء ويباركون عليها. بعلها يفتخر بها...» (أم ٣١: ١٠—٣١). وأيضاً قال: «إن امرأة قوية هي تاج زوجها» (أم ١٢: ٤)، وأيضاً: «إن نساءً كثيرات بنَيْن بيوتاً» (أم ١٤: ١)](٦).

لكن نهت الدسقولية النساء عن الإفراط في التزين:

[لا تزيّني وجهك الذي خُلق من قبل الله، لأنه ليس فيك شيء يعوزه التزيُّن. لأن كل شيء خلقه الله حسن جداً. وإذا زُيِّن مالا يعوزه التزين تزيدون على الخير فتشتمون نعمة الخالق](٧).

[فإذا أردتِ أن تصيري مؤمنة وأن ترضي الله أيتها المرأة لا تتزيّني لترضي رجلاً غريباً. ولا تشتهي أن تلبسي مقانع وثياباً وأخفافاً ـ هذه التي تليق بالزانيات ليتبعكِ الذين هكذا يُصادون بهذه الأعمال.

وإن كنتِ لم تعملي هذه الأعمال المغضبة لتخطئي، لكن أيضاً تزينتِ فقط (من أجل الزينة والجمال)، فلن تفلتي من الحكم، لأنكِ من جهة هذا تلزمين آخر ليتبعكِ و يشتهيكِ، فتحفّظي لكيما أنتِ لا تقعي في الخطية ولا أيضاً يتشكك آخرون لأجلك](٨).

---

(٦) الدسقولية ٢: ٣—١٤ (ص٥٣—٥٦)

(٧) الدسقولية ٢: ٢٧ (ص٥٩)

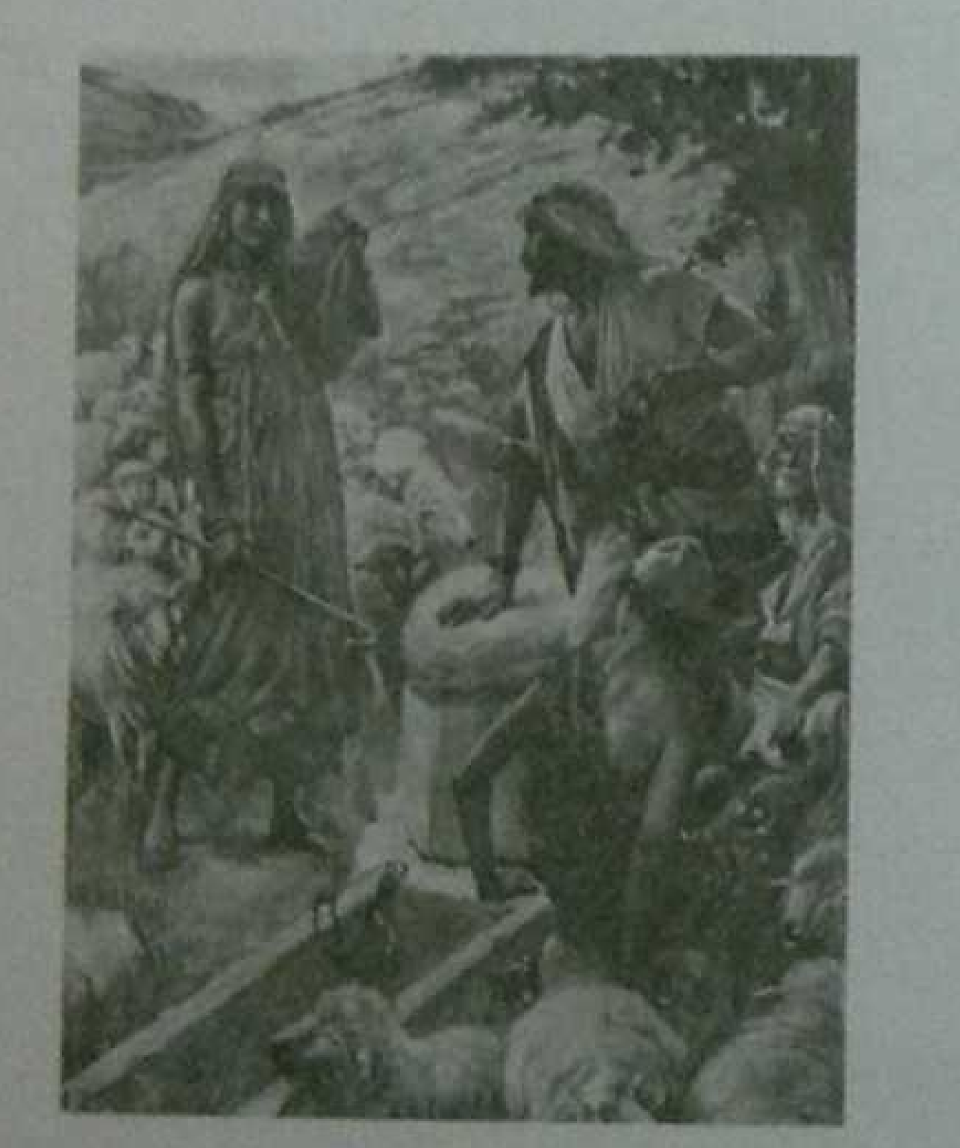
(٨) الدسقولية ٢: ١٧، ١٨ (ص٥٦، ٥٧)

Didasc. I, 8 (ANF, VII, 395)



رفقة وإسحق

زواج تم بمشورة الله (تك ٢٤: ٦٧) «وأخذ إسحق رفقة فصارت له زوجة وأحبها». يبين الكتاب أن الله وسيط في كل زواج يتم بمشيئته.



راحيل و يعقوب

«وأحب يعقوب راحيل» (تك ٢٩: ١٨). صورة متقدمة جداً لغلو سعر المحبة ومهرها الباهظ جداً عند الآباء القديسين. فقد كلفت المحبة يعقوب أن يخدم أبَ الفتاة كأجير أربع عشرة سنة بلا ملل.

ب ـ الأرملة :

ليست جميع الأرامل فئة واحدة بل يوجد بعض منهن يتم تعيينهن أو بالأصح «إقامتهن» (٩) καθίστημι في «رتبة الأرامل» τὸ χηρικόν ، وهذه تعتبر رتبة كنسية ولو أنها ليست ضمن الإكليروس. وقد وردت هذه الكلمة τὸ χηρικόν أي «رتبة الأرامل» في عدة مواضع من الدسقولية (١٠). ومن شروط قبول الأرملة في هذه الرتبة **أن لا يقل عمرها عن ستين سنة** (١١). وأن تكون أرملة رجل واحد، وقد شُهد لها من كثيرين بأن أعمالها حسنة وأنها متعبدة وقد ربَّت البنين (١٢) (أنظر ١ تي ٥ : ٩).

تقول الدسقولية أن الأرملة التي تنضم إلى هذه الرتبة تصير مرتبطة بها بوعد ἐπαγγελία (١٣) وتعتبر «مكرسة لله» θεῷ ἀνακειμένη (١٤). ولذلك يجب إعالتها بصفتها «مذبح الله» :

[فلتعرف الأرملة أنها مذبح الله] (١٥).

[والأرامل والأيتام احسبوهم مثالاً للمذبح] (١٦).

لكن ليس معنى ذلك أنها يجب أن تكون عاطلة بل تقترح الدسقولية عليها أن تعمل في غزل الصوف حتى تعول نفسها بل وتعطي المحتاجين أيضاً (١٧).

---

(٩) الدسقولية ١٢ : ١ (ص٢٢٤) — Didasc. III, 1 (ANF, VII, 426)
حيث الأصل اليوناني هو «أقيموا الأرامل» وليس «أقسموا الأرامل».

(١٠) الدسقولية ١٢ : ٢و٤و٦ (ص٢٢٤و٢٢٥و٢٢٦) — Didasc. III, 1, 2 (ANF, VII, 426)

(١١) الدسقولية ١٢ : ١ (ص٢٢٤) — Didasc. III, 1 (ANF, VII, 426)
وقد جاء في الترجمة السريانية (خمسين سنة).

(١٢) الدسقولية ١٢ : ١١ (ص٢٢٨) — Didasc. III, 3 (ANF, VII, 426)

(١٣) الدسقولية ١٢ : ٢و٣ (ص٢٢٥) — Didasc. III, 1 (ANF, VII, 426)

(١٤) الدسقولية ١٢ : ١١ هامش (١٣) (ص٢٢٨) — Didasc. III, 3 (ANF, VII, 426)

(١٥) الدسقولية ١٢ : ٢٨ (ص٢٣٥) — Didasc. III, 6 (ANF, VII, 428)

(١٦) الدسقولية ٦ : ١١ (ص١٣٨) — Didasc. II, 26 (ANF, VII, 410)

(١٧) الدسقولية ١٢ : ٤٣ (ص٢٤١) — Didasc. III, 7 (ANF, VII, 428)

غير أن أهم عمل لها هو الصلاة من أجل الكنيسة كلها:

[والأرملة فلا تهتم بشيء إلا لتصلي فقط عن الذين يقدّمون القرابين وعن الكنيسة كلها](١٨).

[وهكذا أيضاً الأرملة التي تشبه هذه تطلب إلى الله بلا فتور عن الكنيسة و يُسمع لها لأجل أن فكرها كله تفرّغ لهذا، وهي متعمقة في الصلاة](١٩).

و بخلاف ذلك تستطيع المرأة أن تشهد للإيمان أمام كل من يسألها ولكن بتريث و بدون تهور:

[فإذا سألها واحد عن كلمة فلا تجبه سريعاً، بل تجاوب فقط الذين يسألون لأجل الإيمان والحق والإتكال على الله.

وأما الذين يريدون أن يوعظوا بسنن العمل فلترسلهم إلى مقدّمي الشعب، ولتُجِبْ هي فقط الذين يعودون من ضلالة الآلهة الكثيرة وتعترف بكلمة الله أنه هو المترأّس على الكل وحده](٢٠).

فمن حق الأرملة إذن بل ومن واجبها أن تشهد للإيمان وتجيب كل من يسألها عن سبب الرجاء الذي فيها. ولكن ليس معنى ذلك أنه يمكن أن تعلّم في وسط الكنيسة:

[فنحن نأمر أن «لا تعلّم النساء في الكنيسة» (١ كو١٤: ٣٤) بل لتصلين هناك وتستمعن التعليم.

لأن ربنا يسوع المسيح ومعلمنا لما أرسلنا نحن الإثنى عشر لنعلّم الشعوب والأمم، لم يأمر النساء أن يبشّرن في أي مكان. ولو كان يريد إرسالهن لما عجز من أجل أنه كانت معنا أمه وأخواته ومريم المجدلانية وأخوات لعازر مرثا ومريم — نعم وسالومي وأخريات معهن. فلو كان عملاً ضرورياً أن النساء يعلمن لكان

(١٨) الدسقولية ١٢: ١٩ (ص٢٣١) Didasc. III, 5 (ANF, VII, 427)

(١٩) الدسقولية ١٢: ٤٠ (ص٢٤٠) Didasc. III, 7 (ANF, VII, 428)

(٢٠) الدسقولية ١٢: ٢٠ (ص٢٣٢) Didasc. III, 5 (ANF, VII, 427)

يأمر هؤلاء أولاً أن يعظن الشعب معنا. لأنه إذا كان «رأس المرأة هو الرجل» (١ كو١١: ٣)، فليس بواجب أن تكون بقية الجسد هي التي تترأس على الرأس](٢١).

لقد قصدت الدسقولية أن تذكر وجود العذراء القديسة مريم مع بقية النساء الصالحات بجوار الرب «فلو كان يريد إرسالهن لما عجز»، لتبيّن أن السبب في عدم إرسال النساء للتبشير لم يكن عدم توفّر نساء صالحات، أو تخلّف مستوى المرأة الروحي، بل أن السبب في ذلك هو أن وظيفة المرأة ليست هي التعليم. فمعروف أن العذراء القديسة مريم قد فاقت كل جنس البشرية من جهة سمو مستواها الروحي (بل وفاقت أيضاً الشاروبيم والساروفيم بحسب التقليد)، غير أن وظيفتها كامرأة لم تكن في التعليم. فالسبب الحقيقي إذن هو تنوع وظيفي بين الرجل والمرأة وليس هو تخلف المرأة من جهة مستواها الروحي. هذا التنوع الوظيفي في الواقع هو نفسه الذي أشار إليه بولس الرسول في حديثه عن تنوع المواهب بين أعضاء الجسد الواحد: «إن قالت الأذن لأني لست عيناً لست من الجسد أفلم تكن لذلك من الجسد؟ لو كان كل الجسد عيناً فأين السمع» (١ كو١٢: ١٦و١٧).

وحينا تعود الدسقولية وتقول أن الرجل كالرأس والمرأة كالجسد، تريد بذلك أن تبرز أن سبب امتناع المرأة عن التعليم إنما هو هذا التنوع الوظيفي والتكامل المتبادل بين الأعضاء المختلفة في الجسد الواحد.

ج — العذراء:

تقول الدسقولية أن الفتاة التي تختار أن تكون عذراء ترتبط بذلك «بنذر»، ولكن توصيها بأن تتريث في ذلك:

(٢١) الدسقولية ١٢: ٢٥—٢٧ (ص٢٣٤—٢٣٥) Didasc. III, 6 (ANF, VII, 427, 428)

[وهذا وحده نراه لهن: أن لا يتنذرن سريعاً، من أجل أن سليمان يقول: «جيد أن لا تَنْذر أفضل من أن تنذر ولا تعطي» (جا ٥: ٥)] (٢٢).

ثم تعود وتسميه أيضاً «وعداً»:

[ويجب على التي نذرت لله أن تصنع أعمالاً تليق بالوعد] (٢٣).

وتوصي بتكريم العذارى:

[والعذارى فليكنَّ مكرَّمات مثل المذبح والبخور] (٢٤).

والسبب في هذا التكريم أن التي تحفظ البتولية في جسدها ونفسها كليهما تتأهل بذلك أن تصير مسكناً للثالوث كله: الآب والمسيح والروح القدس:

[ولتكن العذراء طاهرة في جسمها ونفسها لأنها **هيكل الله وبيت المسيح وراحة الروح القدس**] (٢٥).

د ـ الشماسة:

[وتقسم الشماسة المرأة، ويجب أن تكون مؤمنة وطاهرة **لأجل خدمة النساء**. لأنك لا تقدر أن ترسل شماساً إلى المنازل إلى النساء بسبب غير المؤمنين. فترسَل شماسة إمرأة بسبب فكر الناس الأشرار] (٢٦).

واضح أن الشماسة تقام أساساً «لأجل خدمة النساء»، وأن هذه الخدمة تتم في المنازل وليس في الكنيسة:

---

(٢٢) الدسقولية ٢٣: ٢ (ص٢٨٩) Didasc. IV, 14 (ANF, VII, 436)

(٢٣) الدسقولية ٢٣: ٤ (ص٢٩٠) Didasc. IV, 14 (ANF, VII, 436)

(٢٤) الدسقولية ٦: ١٢ (ص١٣٩) Didasc. II, 26 (ANF, VII, 410)

(٢٥) الدسقولية ٢٣: ٣ (ص٢٨٩) Didasc. IV, 14 (ANF, VII, 436)

(٢٦) الدسقولية ١٥: ١٤ (ص٢٥٦) Didasc. III, 15 (ANF, VII, 431)

[والشماسة المرأة أيضاً لتكن مجتهدة أن تربح النساء] (٢٧).

ويتم اختيار الشماسة من إحدى الفئتين السابقتين أي الأرامل أو العذارى:

[والشماسة المرأة فلتكن **عذراء** طاهرة، وإن لم تكن فلتكن **أرملة** وتزوجت بزوج واحد، مؤمنة مكرمة] (٢٨).

[وهكذا أيضاً الشماسة المرأة **لتكن مكرمة لديكم**، لا تنطق بشيء من الكلام ولا تزكي شيئاً من العمل البتة بغير مشورة الشماس. وخارجاً عنها لا تأتي واحدة من النساء إلى الشماس أو الأسقف تسأل عن عمل متعلق بدرجته] (٢٩).

ومن مهام الشماسة **حفظ النظام** بين النساء في الكنيسة واستقبال «النساء الآتيات من خارج»، والترحيب بهن وإيجاد مكان لهنَّ في الكنيسة (٣٠).

غير أن من أهم مهام الشماسة في العصور الأولى مساعدة الأسقف أو القس في تعميد النساء:

[لأننا نحتاج الشماسة المرأة في أعمال كثيرة، وقبل كل شيء لأجل امرأة تعتمد ـ لكي يدهن الشماس جباههن فقط بالدهن المقدس، وبعد هذا تدهنهن الشماسة المرأة كلهن. لأنه عمل غير ضروري ولا لائق أن يتأمل الرجال النساء ـ إلا في وضع اليد فقط لكي يدهن الأسقف رأس المرأة... فأنت أيها الأسقف إدهن رأس الذين يعتمدون كالمثال الأول سواء الذكور أو الإناث بالدهن المقدس، هذا الذي هو مثال المعمودية الروحانية.

وبعدها إما أنت أيها الأسقف أو القس الذي عندك، سَمِّ عليهم السر المقدس الذي هو إسم الآب والإبن والروح القدس، وغطِّسهم في الماء. فالذكر

---

(٢٧) الدسقولية ١٥: ٢٥ (ص٢٦١) Didasc. III, 19 (ANF, VII, 432)

(٢٨) الدسقولية ٣٣: ٤٤ (ص٣٩٤) Didasc. VI, 17 (ANF, VII, 457)

(٢٩) الدسقولية ٦: ٩ (ص١٣٨) Didasc. II, 26 (ANF, VII, 410)

(٣٠) الدسقولية ١٠: ٤٩ (ص٢١٠) Didasc. II, 58 (ANF, VII, 422)

يقبله الشماس **والأنثى تصبغها المرأة الشماسة...**] (٣١).

ولكن ليس معنى هذا أن الشماسة تعمِّد، فالدسقولية تمنع تماماً النساء عن منح سر العماد على اعتبار أنه من أعمال الكهنوت:

[أما لأجل أن النساء يعمِّدن فنحن نخبركم أن شدة عظيمة تصيب الذين يصنعون هذا... إن كان « رأس المرأة هو الرجل » وهو الذي دُعي للكهنوت فلا يليق أن يرفض نظام الخلقة] (٣٢).

وتبيِّن الدسقولية أن مصدر هذه البدعة وثنيٌّ، لأن الوثنيين لهم آلهة ذكور وآلهة إناث، ولذلك يقيمون لهم كهنة وكاهنات:

[لأن هذا من عدم الإلهية (أي الإلحاد) وجهل الوثنيين الذين يشرطنون كاهنات ليخدمن الآلهة الإناث، وهم بُعَداء عن قسمة المسيح] (٣٣).

والسبب الرئيسي في امتناع المرأة عن أعمال الكهنوت هو أن الرب لم يوصِ بذلك:

[لأنه لو كان يجوز أن يعتمد من امرأة لكان الرب يعتمد من أمه وليس من يوحنا. وكان لمّا أرسلنا إلى المسكونة لنعمد ـ كان يرسل معنا نسوة أُخر ليصنعن هذا. والآن لم يأمرنا في أي موضع أن نصنع هذا ولا سلَّم إلينا أن نكتب ذلك. لأنه يعرف ترتيب الطبيعة وما يليق بهذا العمل لأنه خالق الطبيعة وواضع ناموس الإنجيل] (٣٤).

وبهذه المقارنة بين العذراء القديسة وبين يوحنا المعمدان تقصد الدسقولية هنا أيضاً أن تبين أن سبب امتناع المرأة عن أعمال الكهنوت ليس هو تخلّفُها عن الرجل في القداسة أو الروحانية، لأن العذراء فاقت في ذلك يوحنا بل وجميع البشرين إلا أن الرب

---

(٣١) الدسقولية ١٣: ١و٢ (ص٢٤٦)

(٣٢) الدسقولية ١٣: ٣ (ص٢٤٧)

(٣٣) الدسقولية ١٣: ٤و٥ (ص٢٤٧)

(٣٤) الدسقولية ١٣: ٤و٥ (ص٢٤٧)

لم يقبل أن يعتمد منها « لأنه يعرف ترتيب الطبيعة وما يليق بهذا العمل » ؛ أي أن الفرق بين الرجل والمرأة هنا أيضاً فرق وظيفي يرجع إلى طبيعة كلٍّ من الرجل والمرأة، وليس هو فرقاً في القداسة أو في القدرات الروحية.

في قوانين الرسل (٭):

يقول القانون السادس عشر أنه يجب إقامة ثلاث أرامل في كل كنيسة ليكون لهن مهمة شبه رسمية في الصلاة والتنبؤ وخدمة المرضى:

[قال كيفا: لتُقَم ثلاث أرامل إثنتان منهن تتفرغان للصلاة لأجل كل مَن في التجارب ويريدون أن يُعلن لهم ما يكون، والأخرى، لتُقيم عند النسوة اللائي يُجرَّبن بالأمراض ليُخدمن جيداً. وتتيقظ وتُعرِّف القسوس ما يكون. لا تكن تحب الربح ولا تكن سكيرة لئلا تغفل فلا تسهر لخدمة الليل...] (٣٥).

(٭) قوانين الرسل معروفة في الكنيسة القبطية على هيئة كتابين:

١ ـ **الكتاب الأول** وعدد قوانينه ٧١:

ـ منها **القوانين من ١ ـ ٢٠** كانت معروفة في بداية القرن الرابع باسم:

« الترتيب الكنسي الرسولي » Apostolic Church Order. وهو الذي كان منتشراً على الخصوص في مصر، وأصله اليوناني محفوظ حتى الآن، وقد عُني بنشره العالم Schermann . وعند ذكرنا لهذه القوانين سنشير إلى الموضع المقابل من هذا الأصل اليوناني.

ـ **القوانين من ٢١ ـ ٤٧** وهي تطابق بالحرف الواحد « **التقليد الرسولي** » لهيبوليتس الذي سبق أن عرضناه. ولذلك فلن نذكر شيئاً من هذه القوانين منعاً للتكرار.

ـ **القوانين من ٤٨ ـ ٧١** لها أصل يوناني موجود مع إضافات كثيرة في الكتاب الثامن من مجموعة « المراسيم الرسولية » : Apostolic Constitutions السابق الإشارة إليها بخصوص الدسقولية. وعند ذكرنا لهذه القوانين سنشير إلى الموضع المقابل لها في هذا الكتاب الثامن من المراسيم الرسولية (بالإختصار AC VIII). وهو منشور بالإنجليزية في مجموعة: ANF, Vol VII, p. 479-500

٢ ـ **الكتاب الثاني**: وعدد قوانينه ٥٦ قانوناً، وهي تقابل القوانين الـ٨٥ الملحقة في نهاية الكتاب الثامن من المراسيم الرسولية AC VIII, 47 ، والمنشور بالإنجليزية في ANF, Vol. VII, p. 500-505 ، وليس فيها شيء يخص الموضوع الذي ندرسه الآن.

(35) Ap. Ch. Ord. 21 (Schermann 29, 30) قوانين الرسل، الكتاب الأول قانون ١٦

و يظهر من هذا القول أن دور الأرملتين الأوليين هو الإنقطاع للصلاة لقبول «الإعلانات» ἀποκαλύψεις من الله للذين يكونون في التجارب. وهذا يشبه دور بنات فيلبس المبشر الأربعة، وكذلك دور حنة بنت فنوئيل التي استطاعت بروح النبوة أن تتكلم عن المسيح مع جميع المنتظرين فداءً في إسرائيل. **ويحدِّد هذا القانون وجوب وجود أرملتين على الأقل من هذا النوع في كل كنيسة.** أما الأرملة الثالثة فهي لخدمة المرضى من النساء وعلى الأخص أثناء الليل.

ودور المرأة في التنبؤ وأخذ الإعلانات من الله لا يعني أنها يمكن أن تتعالى بسبب ذلك على الكهنة. و يقول في ذلك القانون ٥١:

[وتنبأت أيضاً نساء في العتيقة مريم أخت موسى وهرون و بعدها دفورا (دبورة) و بعدهما أولدا (خَلْدَةَ ــ ٢مل ٢٢: ١٤) ويهوديت الواحدة في عصر يوسيس (يوشيا) والأخرى في زمان داريوس، وفي الحديثة أم الرب تنبأت وأليصابات نسيبتها وحنة و بنات فيلبس ولم تستكبر هؤلاء على الذكور (أي الرجال) بل حفظن حدودهن](٣٦).

فهذا القانون يبيِّن أن امتناع المرأة من الكهنوت ليس بسبب تخلفها الروحي عن الرجل، فهي من الناحية الروحية قد تصل إلى درجة النبوة، غير أن أعمال الكهنوت ليست في حدود اختصاصها.

والقانونان ١٩ و٢٠ يبرزان أن السبب الأساسي في ذلك هو ما فعله الرب نفسه:

[قال أندراوس: («يلزم ياإخوة أن نحدد خدمة النساء». قال بطرس:) «قد بدأنا وحددنا هذا. (ولكن) لأجل (رفع) القربان الذي هو جسد المسيح ودمه (فينبغي) أن نبيِّنه بثبات». قال يوحنا: «نسيتم ياإخوة أن (في) الزمان الذي التمس المعلم خبزاً وخمراً و باركهما وقال هذا هو جسدي وهذا هو دمي **لم يأمر أن**

(36) A. C. VIII, 2 (ANF VII, 481) قوانين الرسل، الكتاب الأول قانون ٥١

تعيِّن هؤلاء»... قال يعقوب: «كيف نقدر أن نحدد للنساء خدمة إلا هذه الخدمة وحدها أن **يُعِنَّ المحتاجين**»](٣٧).

ومن هذا يظهر أن خدمة المرأة في الكنيسة ليست في مجال الكهنوت، بل في مجال «إعانة المحتاجين»، مع ملاحظة أن هذه العبارة العامة تشمل ما ورد في قانون ١٦ أي الصلاة من أجل الذين في التجارب حتى تُعطى لهم الإعلانات، ثم أيضاً خدمة المرضى.

ولهذا السبب فالأرملة لا تُرسم οὐ χειροτονεῖται أي لا توضع عليها اليد(٣٨)، وقد حددت قوانين الرسل الشروط الواجب توافرها في الأرملة هكذا:

[أنها تكون عاشت بعفاف ولم يوجد فيها علة، واهتمت بأهل بيتها كما يجب مثل يهوديت وحنة](٣٨).

وهذا القانون نفسه ينص على أن العذارى أيضاً لا توضع عليهن اليد، كما يحدد أن العذراء التي تختار التبتل ينبغي أن تفعل ذلك: [ليس لأنها تزدري بالزيجة بل لتتفرغ لخدمة الله](٣٩).

أما بخصوص الشماسة فقد جاء في القوانين:

ــ أنه توجد [شماسات وأبودياقونيات وأناغنوستيسات](٤٠).

ــ [ولتقف الأبودياقونيات عند أبواب النساء](٤١).

ــ [والشماسات النساء لا يباركن ولا يفعلن شيئاً مما يفعله القسوس أو الشمامسة، بل

(٣٧) قوانين الرسل، الكتاب الأول قانون ١٩ و٢٠ Ap. Ch. Ord. 24-28 (Schermann 31-33)
وقد أضفنا بين قوسين العبارات التي سقطت من الترجمة العربية للقوانين، ولكنها موجودة في الأصل اليوناني المعروف منذ بداية القرن الرابع.

(٣٨) قانون ١: ٥٥ A.C. VIII, 25 (ANF VII, 493)

(٣٩) شرحه. Ibid.

(٤٠) قانون ١: ٥٣ وهذه العبارة غير موجودة في الأصل اليوناني.

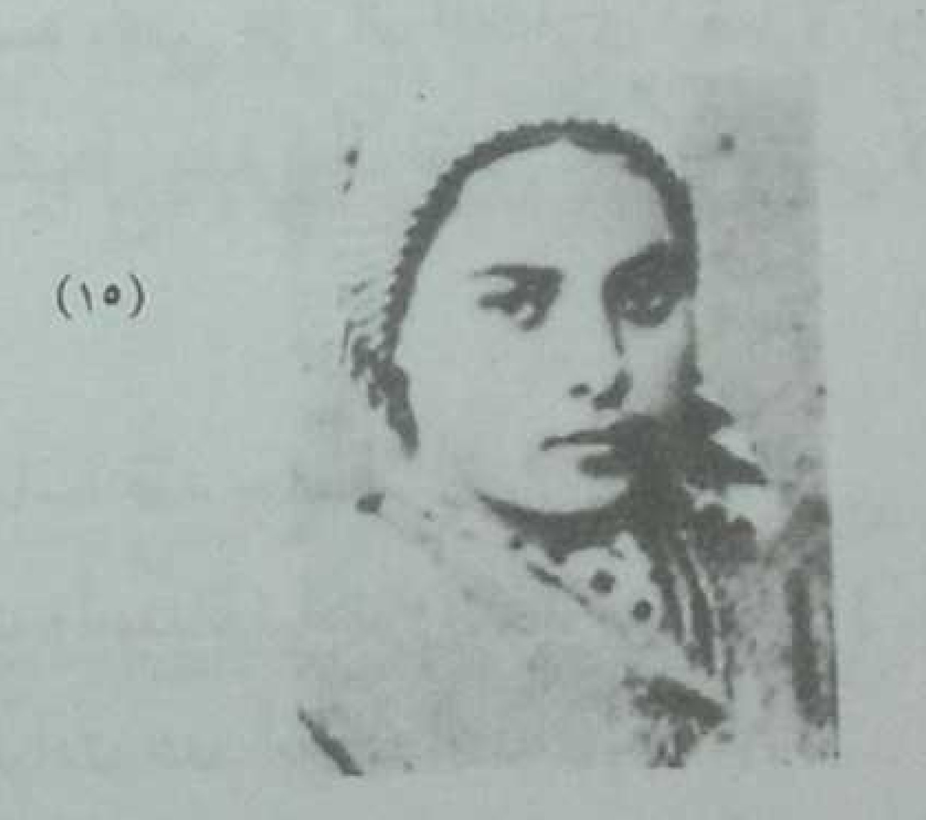
(٤١) قانون ١: ٥٢ A.C. VIII, 11 (ANF VII, 486)

يحفظن الأبواب لا غير ويخدمن القسوس في موضع تعميد النساء لأن الذي يجب هو هذا](٤٢).

— ومن حق الشماسة أن تأخذ من خبز البركة الذي يوزَّع بعد نهاية القداس على أعضاء الإكليروس وسائر الرتب الكنسية فقط دون أفراد الشعب(٤٣).

مما سبق يظهر بوضوح أن كلاً من الأرملة والعذراء لا توضع عليها اليد (بحسب القانون ٥٥)، وكذلك يحدد القانون ١٩ من قوانين مجمع نيقية المسكوني (٣٢٥م.) أن الشماسة أيضاً لا توضع عليها اليد:

[ومثل هذا الرسم نفسه يُحفظ في أمر الشماسات المحسوبات في الزي أيضاً **حيث لم تكن عليهن شرطونية (وضع اليد)**، فليُحصون مع عامة الشعب على كل حال](*).



(١٥)

---

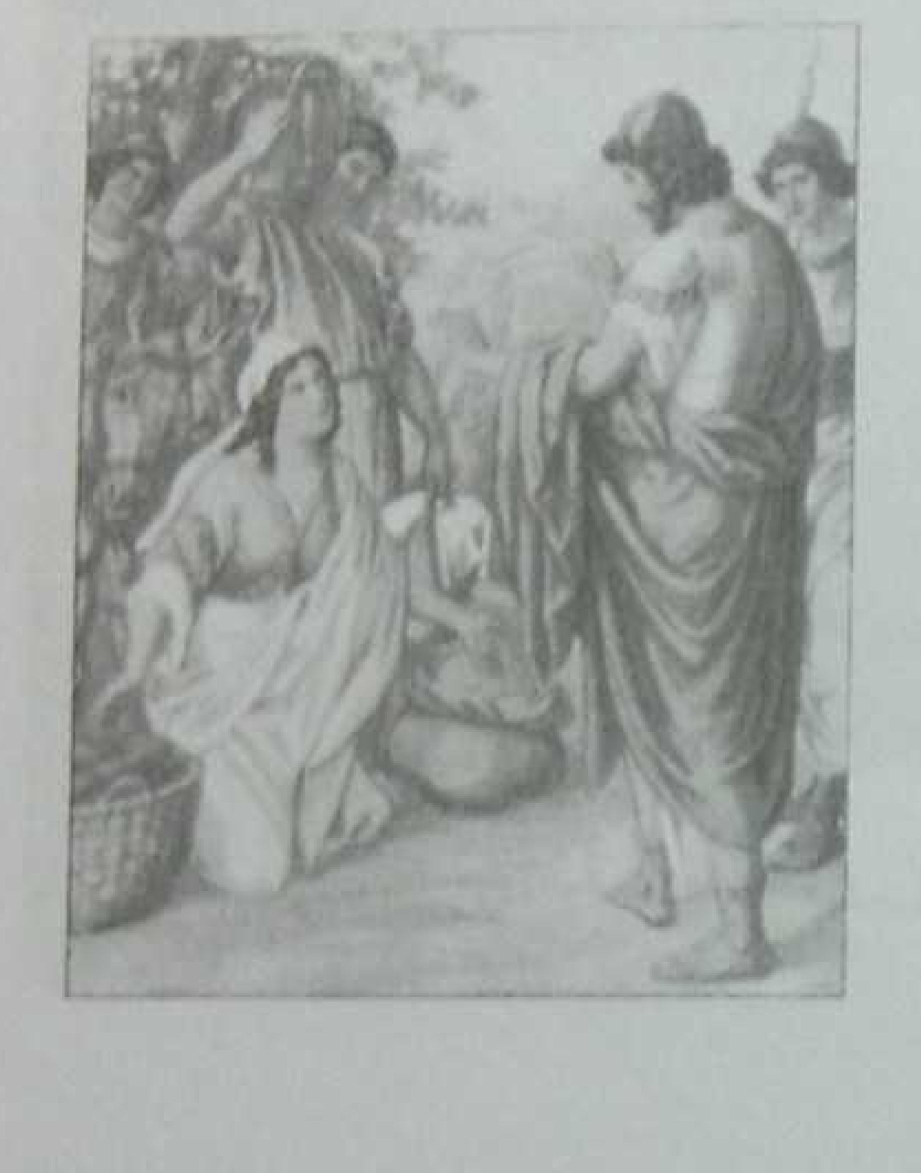
(٤٢) قانون ١: ٥٨ A.C. VIII, 28 (ANF VII, 494)

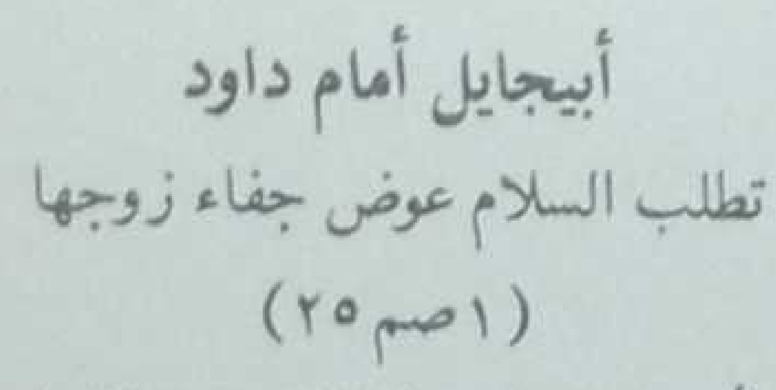
(٤٣) قانون ١: ٦٠ A.C. VIII, 31 (ANF VII, 494)

(*) بينما يجزم مجمع نيقية بعدم شرطونية الشماسات، نجد مجمع خلقيدونية (المحروم) يقرر الآتي: [المرأة لا ينبغي رسامتها (وضع اليد) χειροτονείσθαι إذا كان عمرها دون أربعين سنة].

وهكذا يبتدع مجمع خلقيدونية (٤٥١م) وضع اليد والرسامة الطقسية للشماسات لأول مرة في تاريخ القوانين الكنسية.

وبهذا يظهر مجمع خلقيدونية مخالفاً لأحكام بولس الرسول ولقوانين الرسل التي أجملها القمص صليب سوريال مدرس القانون الكنسي بالإكليريكية في مذكراته على هذه القوانين في نصوصها باللغة العربية ص٤٢و٤٣و٤٤.



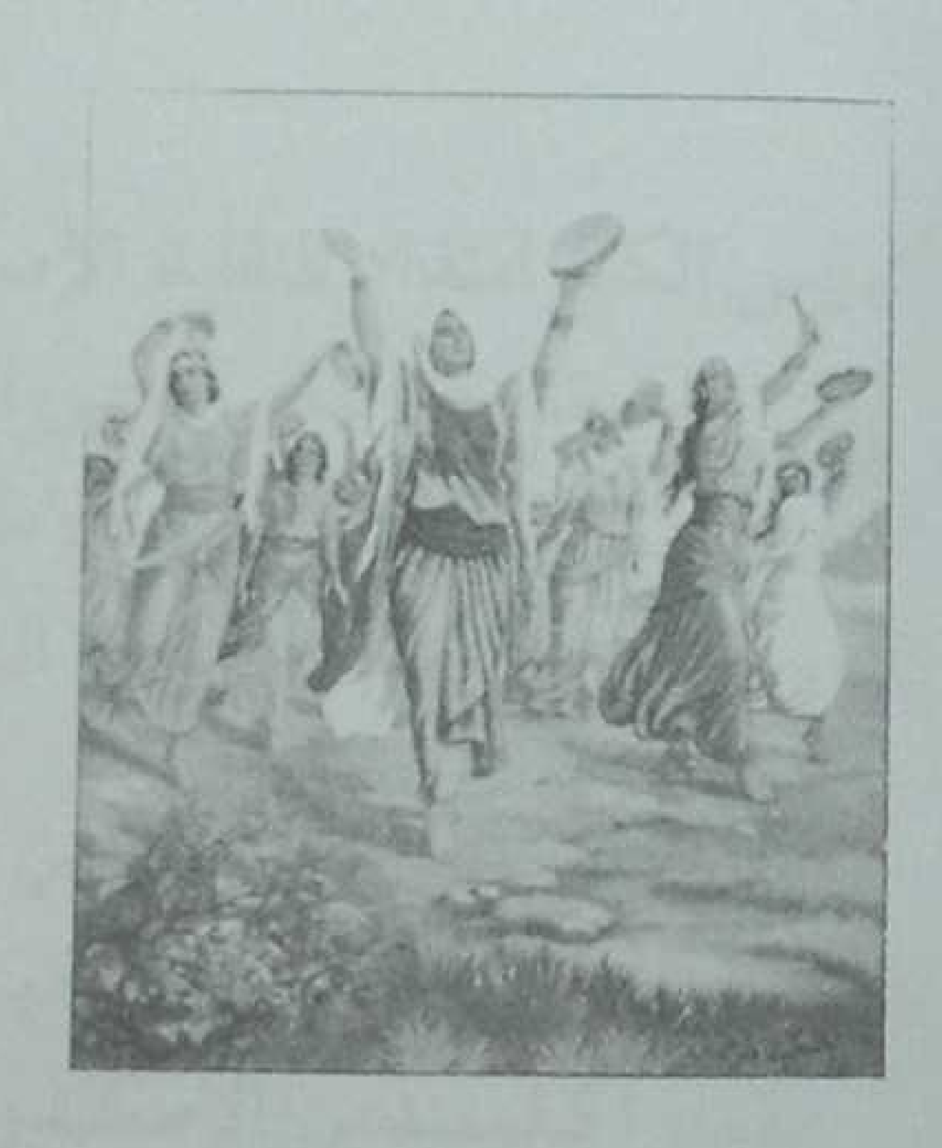


أبيجايل أمام داود

تطلب السلام عوض جفاء زوجها

(١صم٢٥)

بالحكمة المرأة المذهلة في هذا الحادث. إن طبيعة المرأة إذا استخدمها الله، صارت قادرة أن تطفىء نار الخصومة، وتتحدى عداوة الموت.



مريم النبية أخت موسى وهرون

مع النساء ينشدن تسبحة الخلاص والنجاة

(خر١٥: ٢٠)

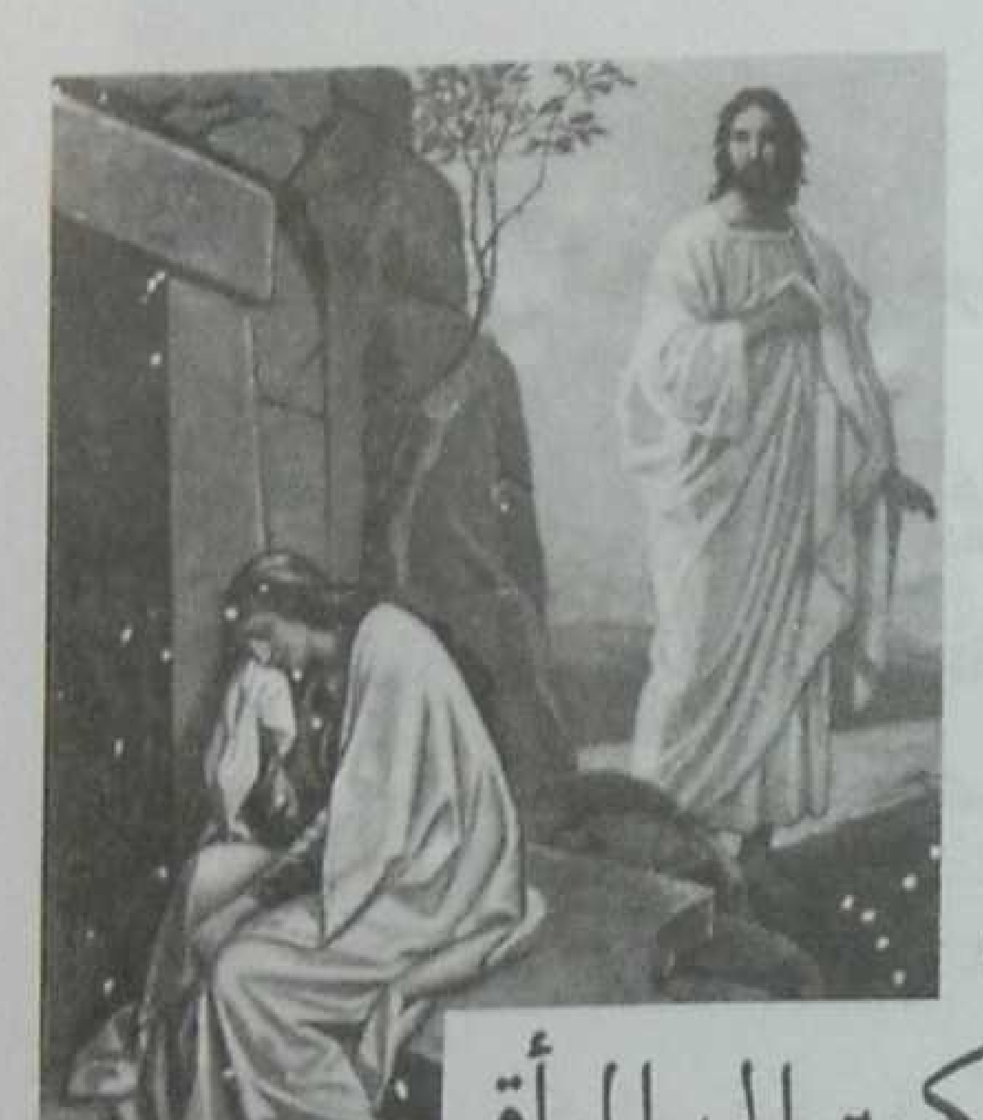
أول تسبحة تقودها امرأة في خورُس رسمي من النساء، يسجله الكتاب المقدس ولا تزال تسبح بها الكنيسة القبطية يومياً في تسبحة نصف الليل.



الملكة زينوبيا

ملكة پالميرا (تدمر) العربية بسوريا (٢٦٦—٢٧٢) امرأة حديدية قادت جيشاً ضد حكم الرومان وفتحت مصر وآسيا الصغرى. ولكن هزمها أورليانس بجيش كبير أمام أنطاكية وحمص سنة ٢٧٢، واقتادها أسيرة إلى روما حيث ماتت.

مثال المرأة التي لها طموح أعظم من الرجال.



(١٦)

الفصل الثامن

نظرة القديس كيرلس الكبير إلى المرأة

كيرلس الكبير امتداد للتقليد الإسكندري:

في الحقيقة حينما نقدم كيرلس الكبير نكون قد جمعنا كل رأي الآباء الإسكندرانيين السابقين، لأن من دأب علماء الإسكندرية اللاهوتيين الأرثوذكس أن يتمسكوا بتقليد الآباء الأوائل ولا يضيفون عليه إلا الشرح والتخريج.

لذلك فجدير بنا أن نلخص هنا رأي اكليمندس الإسكندري الذي سبق عرضه بالتفصيل لأننا سنجده في نظرة القديس كيرلس الكبير عن المرأة مشروحاً بأكثر وضوح:

يقول **اكليمندس الإسكندري** أنه **يستحيل التفريق بين خلقة الرجل وخلقة المرأة على مستوى الطبيعة البشرية!! لأن نفس المرأة كنفس الرجل من حيث الكفاءة الروحية، لذلك فيمكن للمرأة أن تحرز من الفضائل كما يحرز الرجل تماماً** ــ وإن كان هناك اختلاف في تركيب الجسد فهو لكي تقوم بأعباء الحمل والولادة ومسئولية المنزل.

وهذا الفرق لا يمكن أن يمس الطبيعة البشرية لأنه يختص فقط بما هو خاص بالأمومة.

ولكن لا يزال الكمال بتمامه مفتوحاً لكل من الرجل والمرأة.

أما القديس **أثناسيوس الرسولي** فهو يأتي بعد اكليمندس حاملاً تراث الآباء مزيداً له وضوحاً فيقول:

[إن المرأة قد خُلقت أيضاً على صورة الله مثل الرجل تماماً، إن طبيعتيهما متساويتان في كل شيء وفضائلهما أيضاً على تساوي، وإن كانت هناك فروق ما فهي خارجية لأن نفسيهما متساويتان] (١).

□

أما القديس كيرلس الكبير فيمكن جمع منهجه الفكري تحت اتجاهين:

الإتجاه الأول: «سيكولوچية المرأة».

الإتجاه الثاني: الإتجاه اللاهوتي نحو المرأة.

سيكولوچية المرأة عند القديس كيرلس الكبير:

وهذا أيضاً يعتمد على نظرتين أساسيتين تجاه المرأة، فالمرأة هي:

[مَثَلٌ τύπος أو رمز σύμβολον أو إشارة σημεῖον لعنصرين نفسانيين في المرأة، الأول: النعومة (الجنس الناعم) ἀσθένεια أو μαλακίσμος، والعنصر الثاني: إحساس اللذة ἡδονή] (٢).

وهو يقول: [إن كل شر وزلل إنما يأتي عن طريق هذين العنصرين الكائنين في طبيعة المرأة] (٣).

وكيرلس الكبير يعزو ضعف المرأة إما للطبيعة عامة (٤)، أو للتفكير (٥)، أو

---

(1) Athan. In verb. 1, De Hominis Structure 1, 22-23, P.G. 30, 33-36.

(2) In Zachariam 2, Pusey 2, 353.
In Oseam 1, Pusey 1, 34-35.
Glaph. in Exoduon 2; P.G. 69, 374.
Homiliæ Paschales 10, 4; P.G. 77, 624.

(3) De oderatione 3; P.G. 68, 300.

(4) De oderatione 16.

(5) De oderatione 1.

للإرادة (٦)، وهذا مما يزيد من سهولة الخطية (٧).

ولكن لا يشدد كيرلس الكبير على أن هذا الضعف هو حالة عامة أو شاملة لكل النساء، ولا الإحساس باللذة أمر يمكن تحديده بصورة واضحة، إنما هو مجرد خاصية مميزة مبهمة.

وهكذا يتوقف رأي كيرلس الكبير السيكولوچي للمرأة على أن الصفة المعيارية للمرأة هي التي تحدد ماهية المرأة.

فالمرأة بالرغم من أن لها نفس الجوهر الطبيعي الذي للرجل (٨)، إلا أن هناك اختلافات بينهما (٩).

ومن مظاهر هذا الإختلاف أو التمايز أن المرأة نفسها تفضل أن تلد ذكراً عن أن تلد أنثى، لماذا وهي أنثى؟! (١٠) هذا يوضح تجذُّر الإختلاف.

وكيرلس يعتمد على قول بولس الرسول: «إن آدم لم يُخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل» (١كو١١: ٩)، فيقول إن آدم كان في خلقته أكمل بالضرورة (من الناحية السيكولوچية) من المرأة التي خُلقت لتكون من أجله (١١).

وفي الحقيقة هناك إشارة أكثر وضوحاً تعزز قول كيرلس الكبير عن هذا القصور الذي أصابها من الله عن عمد عندما عاقبها على المخالفة بقوله: **«إلى زوجك يكون اشتياقك»**. وهذا العقاب أفقدها القدرة أن تكون ندًّا للرجل دون معاناة!!

---

(6) In Oseam 1, Pusey 1, 34-35.

(7) De oderat. 16.

(8) Thesaurus 34, In Epist. 1 Corinth. 4.4.

(9) Ibid.

(10) In Isaiam 5, 6 (P.G. 70, 1436).

(11) Thesaurus 15, P.G. 75, 257.

وهويدلل على ذلك أيضاً من الناحية النفسية بقوله:

[إن جنس الأنثى دائماً يستسلم للدموع و يقع في الحزن والنواح بسهولة شديدة، و بالأخص عندما يكون هناك سبب أليم لذلك] (شرحه لإنجيل يوحنا).

الإتجاه اللاهوتي:

وهويقوم على رؤيتين للمرأة:

الرؤية الأولى: اللعنة التي احتملتها المرأة جزاء مخالفتها.

الرؤية الثانية: تقديس المرأة.

ومن هاتين الرؤيتين يتكون عند كيرلس الكبير معنى ومدلول كيف أن المرأة هي على صورة الله؟!

الرؤية اللاهوتية الأولى تجاه المرأة:

يصف كيرلس الكبير المرأة بعدما أثرت على زوجها وأوقعته في الخطية باعتبارها [خادمة أو شماسة διάκονος الموت](١٢).

وهكذا ولهذا أعطاها الرب عقوبة « تكثيراً أكثر أتعاب حبلكِ، بالوجع تلدين أولاداً... » (تك ٣: ١٦).

ولكن يعود كيرلس الكبير ويحلل و يفسر هذا الوضع الجديد الذي للمرأة وهي تحت العقوبة، أي عقوبة « الوجع والأتعاب »، أي الحزن والأسى، بتعبير دقيق محتسباً أن الدافع الأشد والمعذب لهذا الحزن هو أن المرأة تلد للموت εἰς θάνατον !! وبهذا العقاب صار الميلاد باباً للموت عوض الحياة(١٣).

هذا هو مضمون التوبيخ الذي أصاب المرأة ومصدر حزنها الحقيقي، وهذا هو سر دخول جنس المرأة في الشعور بالإحتقار حتى مجيء المسيح(١٤).

(12) In Lucan hom. 24; P.G. 72, 941.
(13) In Lucan hom. 2; P.G. 72, 489.
(14) In Math. 28.9; P.G. 72, 469.

ولكن تجسد ابن الله [لكي يبيد اللعنة التي وقعت للمرأة الأولى](١٥). والقديس كيرلس يعطي شرحين لهذا الإجراء اللاهوتي:

الأول: [حينما كانت تلد المرأة للموت كانت تشعر تلقائياً بضغط الحزن، ولكن حينما ولدت المرأة بالجسد عمانوئيل الذي هو الحياة ذاتها، تحطمت قوة اللعنة، فزال الحزن مع الموت الذي كان رفيق حبل المرأة وولادتها على الأرض](١٦).

و باختصار، وفي جملة واحدة، يقول: **قبل المسيح كانت الولادة تعني الموت، أما بعد ميلاد المسيح بالجسد أصبحت الولادة تؤدي إلى الحياة.**

الثاني:

وهذا يعود إليه القديس كيرلس مراراً و يعتمد على [اللطف الفائق والتحية السلامية التي ألقاها المسيح المقام ــ أول ما التقى ــ على المرأة. فبقوله: سلام لكما، لا تخافا... يكون قد رفع عن المرأة الخوف ومهّد الطريق للإيمان، فبتحيته لهن وهو هو الإله الذي أرعد عليهن سابقاً باللعنة، أصبح لجنس الأنثى انعتاقٌ من التوبيخ والملامة ورفعٌ للّعنة](١٧).

وهكذا لم يكن بلا معنى أن يكون الرب قد **أظهر قيامته أولاً للنسوة**، ليكنّ أول من يشاهد مجده و يسمع صفحه وسلامه، و يتقبل البشارة المفرحة، وفي هذا يقول القديس كيرلس الكبير:

[لكي يَشفي الإنسان الذي مرض و يعتقه من الدينونة الأولى، كان من المهم جداً أن تُكرم النسوة أولاً بحملهن إعلان البشارة المفرحة بالقيامة (إلى الرجال عوض حمل الخطية الأولى إلى آدم)، لأنه بما أن المرأة الأولى أغوت آدم ودفعته

(15) In Lucan hom. 2; P.G. 72, 489.
(16) Ibid.
(17) In Math. 28:9; P.G. 72, 469.
In Lucan 24:9; P.G. 72, 941.

للتعدي بنفسها متّبعة قول الحية، فصارت هي بذاتها علة الموت، لذلك كان أمراً ملحًّا أن ذنب هذا السلوك الشنيع تمحوه الدعوة (الإلهية) بحمل هذه الرسالة الرسولية. فيصح قول بولس الرسول أنه حيثما كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً (رو٥: ٢٠)؛ هوذا قد أعطى الله إنجيل الخلاص للمرأة التي خدمت ـ كشماسة ـ الموت سابقاً. وهكذا بُلّغت المرأة التحية عوض اللعنة التي وضعها عليها في البدء. وهكذا فإن الإجراء الأخير كفّر عن الإجراء الأول، والتي دُعِيَ عليها بالوجع والمرض نالت الشفاء](١٨).

و يعود القديس كيرلس مراراً ليلخص هذا الموقف هكذا: إن إلقاء السلام χαίρετε على المرأة (لحظة القيامة) كان الترياق الشافي لإلغاء عقوبة الحزن والوجع! فالمرأة التي خدمت الموت تبعاً لهمس المجرب في حديقة عدن، خدمت القيامة بطاعتها لكلام الرب والملائكة في حديقة جتسيماني.

هذه هي الكرامة التي حصلت للجنس (الأنثوي) الذي امتُهن، وهذا هو رجاؤها الصالح وشفاؤها؛ فالمرأة ختمت قصتها الحزينة بقبول سلام الرب.

الرؤية اللاهوتية الثانية تجاه المرأة:

بالرغم من الإجحاف الملموس الذي أصاب المرأة من تحليل القديس كيرلس الكبير للمرأة من وجهة النظرة الطبيعية والنفسية، إلا أنه لم يكن عدواً لجنس المرأة على الإطلاق، بل المدافع الأكبر عن كفاءة المرأة من الوجهة الروحية «**في المسيح**»، وهو يحاجج في شرحه لسفر اللاويين ٦: ٢٧ هكذا:

[أخبرني، هل الناموس أمر أن تُرفض المرأة من البركة باعتبارها جنساً أنثوياً؟ نحن لا نقول بهذا أبداً، فإن جنس الأنثى تقدس ἁγιάζεται بالتمام معنا؛ والحقيقة هي أن هذه الأمور كانت أمثلة وظلالاً، فالناموس عندما قال:

(18) In Isaiam 3, 1; P.G. 70, 608; In Ioan 12, 1; Pusey 1, 20.

«الجنس المقدس» كان يقصد بفطنة هؤلاء الذين سيصيرون مقدسين في المسيح، وفي المسيح يسوع ليس رجلٌ وامرأة بعد، بل **نصير كلنا من واحد** بقدر ما نحن نتناول معاً من الخبزة الواحدة](١٩).

و يعود مفسراً سفر يوئيل ٢: ٢٨:

[«و يتنبأ بنوكم و **بناتكم**». هذا يعلن عمومية نعمة الله والمساواة التامة من جهة هذا الأمر، لأن جنس الأنثى هو في عيني الله ليس شيئاً يمكن طرحه جانباً طالما هو ناشط في عمل مشيئة الله ويختار أن يكون حكيماً؛ وليس بدون مكافأة أو بدون شركة في التقديس: ἀμέτοχον ἁγιασμοῦ إذ اختير **للإيمان والأعمال الصالحة**، لأن جنس المرأة هو معتبرٌ أيضاً أهلاً للنعمة والرحمة من قبل الله: «وصراخ الروح القدس» (٢كو١: ٢٢)، فالمرأة محسوبة ضمن الأولاد](٢٠).

و يعود القديس كيرلس الكبير ويمزج الرؤيا اللاهوتية للمرأة بالتوجيه الرعوي في موضوع المرأة السامرية:

[و بخلاف الذين جفّت مشاعرهم بسبب التمادي في التقوى (الفريسيين) لم يمتنع الرب من الحديث مع امرأة، لكن كعادته منح حبه لجميع البشرية، وهو اعتنى أن يُظهر بهذه الحادثة أنه طالما يوجد خالق واحد فيتحتم أن لا يكون وقفاً على الرجل فقط حتى ينال الحياة بالإيمان، وها المسيح هنا يجمع المرأة في شبكته أيضاً ـ نعم، ليت هذا يكون نموذجاً للمعلمين في الكنيسة، فلا يمتنع المعلم من خدمة النساء، لأنه إن صنع هذا فهو لا يتبع ميوله وإنما يخدم منفعة التعليم بالإنجيل κηρύγματα](٢١).

(19) Glaphyra in Levit.; P.G. 69, 552, 53 (أنظر غل ٣: ٢٨، ١كو١٠: ١٧)
(20) In Ioelem 2, Pusey 1, 339-340.
(21) In Ioannem 2, 5; Pusey 1, 287.

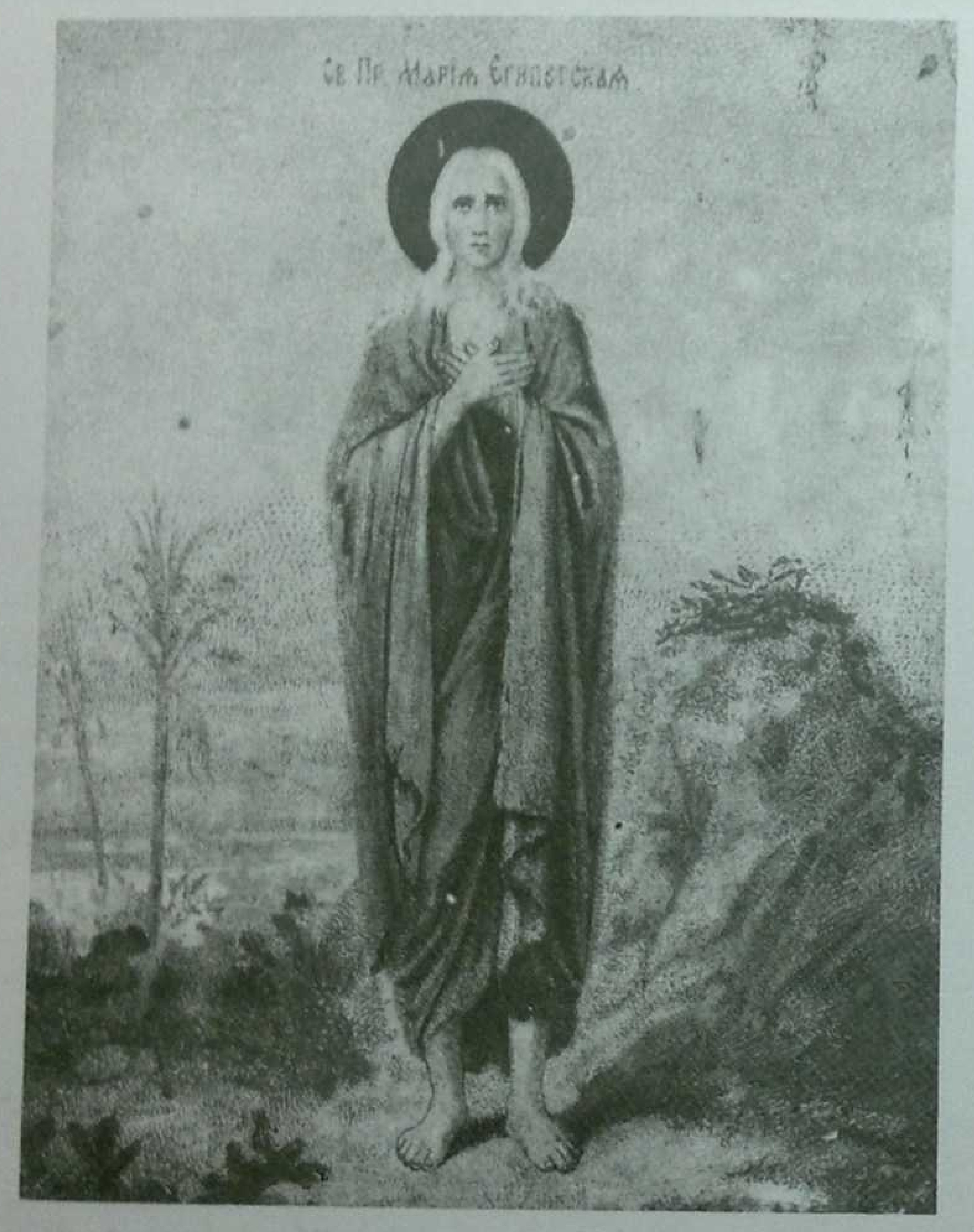


كلمة في الختام :

يلاحظ القارىء أننا قصَرْنا حديثنا ـــ من جهة الحقوق والواجبات التي للمرأة ـــ على الأصول الأولى التي أرستها الكنيسة في بداية تكوين المجتمع المسيحي ، ليس رغبة منا لكي تكون هي الكلمة الفصل في موضوع المرأة ، وإنما لتكون المنطلق الصحيح لتقييم وضعها في مسيرة الزمان ، عبر ألوان المجتمعات المتعددة الأشكال والمتجددة الأطوار؛ ونحن مطمئنون غاية الإطمئنان أن أي إجراء أو تقرير أو حتى أي مطالب كانت الآن أو في المستقبل إذا هي التزمت في روحها بهذه النصوص الأولى التي جاءت بفم الله وإلهام الروح لرجال أتقياء فإن مسيرة المرأة ستظل على المستوى الصحيح من جهة المساواة مع الرجل في إطار من العدالة الإجتماعية التي يحكمها الروح .

(١٧)





القديسة مريم المصرية الناسكة التائبة .

من الإسكندرية ، حوالي القرن الخامس ، تقبّلت توبتها الأولى داخل كنيسة القيامة ، فانطلقت وحيدة ، وعاشت في بادية الشام ، شرق الأردن ، وقضت بقية أيام حياتها (٤٧ سنة) في نسك رائع يعجز عن وصفه الخيال ويخور من دونه الرجال .

فهرس الصور المنشورة بهذا الكتاب

في أول وآخر كل فصل

٦	٣١	حَنّة تقدم إبنها صموئيل لعالي الكاهن نذيراً لله ـــ إحدى صور التقوى للأمومة الباذلة في العهد القديم (١ صم ١ : ٢٥).
٧	٣٢	«لَوْئيس» و«أفْنيكي» : جدة وأم القديس تيموثاوس تلميذ القديس بولس الرسول. دور الأم في تربية أطفالها ليصيروا زعماء قديسين : «وإنكَ منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة» ، «إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيكَ ، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي ؛ ولكني موقن أنه فيك أيضاً» (٢ تي ١ : ٥ ، ٣ : ١٥).
٨	٤١	طابيثا تلميذة القديس بطرس الرسول في يافا. رائدة الخدمة الإجتماعية في أيام الرسل : «كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تعملها» (أع ٩ : ٣٦).
٩	٥٢	راعوث ونعمى. نموذج لقدرة المرأة على التغلب فوق اختلافات الجنس والدين وهما أصعب الحواجز طراً ، وللتآلف والمحبة الصادقة بين الكنة وحماتها. وهي امرأة مؤابية (ليست من شعب إسرائيل) تزوجت بوعز ، فولدت له عوبيد جد داود الملك الذي أتى من نسله المسيح (سفر راعوث ، لوقا ٣ : ٣٢).
١٠	٥٥	«دبورة» : **نبية وقاضية في إسرائيل.** قادت جيشاً ضد الكنعانيين في زمن ضعف إسرائيل ، وانتصرت عليهم ، فأنشدت بالوحي في ذلك نشيد الظفر المعروف باسمها (سفر القضاة ٤ و٥).

		وهي صورة رائعة لتمكُّن المرأة من دور الرئاسة والقيادة ليس على الشعب وقت السلم فقط بل وفي قيادة الجيوش.
١١	٥٩	أم موسى النبي تضع السَّفط و بداخله موسى في النهر (خر ٢ : ٣). نموذج للرجاء الحي الذي لا يعرف اليأس عند المرأة بالنسبة لحياة ومستقبل بنيها.
١٢	٦٠	«سارة» امرأة ابراهيم الخليل ووالدة اسحق (إبن الموعد) ، تلقت الوعد من الله بميلاد اسحق وهي في شيخوختها المضمحلة. وهكذا يستخدم الله المرأة كأداة سهلة طيّعة لإظهار قدرته الفائقة على الطبيعة.
١٣	٦٣	القديسة كاترينا ـــ شهيدة الإسكندرية في القرن الرابع. تسجل سيرة استشهادها حوارها مع فلاسفة الإسكندرية حول بنوة المسيح لله ، وعمل الخلاص الإلهي ؛ وذلك تحت تهديد الموت. فكانت مثلاً رائعاً للحكمة الشجاعة.
١٤	٦٤	المرأة التائبة أمام المسيح في بيت سمعان الفريسي. أحد الأمثلة التي تبين ثقة المرأة الخاطئة في المسيح كحبيب قبل أن يكون ديَّاناً. كما يظهر في هذا المثل المركز الذي رفع المسيح إليه المرأة ـــ مهما كانت ـــ في العهد الجديد (لو ٧ : ٣٦ ـــ ٥٠).
١٥	٧٨	برناديت سوبيروس ـــ راهبة قديسة ، عاشت ما بين عامي ١٨٤٤ ـــ ١٨٧٩. إبنة فلاح فرنسي فقير. ظهرت لها

العذراء في مدينة لورد بفرنسا عام ١٨٢٦ وهي في الرابعة عشر من عمرها، ظهرت لها ١٨ مرة، فجّرت أثناءها بئر ماء ودعتها أن تبني لها كنيسة في هذا المكان. انتقلت عام ١٨٧٩. وقد أظهرت العذراء وما زالت تُظهر عجائب ومعجزات شفاء في هذا المكان عند البئر.

١٦	٨١	المجدلية أمام المسيح القائم من بين الأموات. أول من تلقى البشارة بقيامة السيد. وهنا توضيح لمحاولات الله التي يقصد منها رفع شأن المرأة لتكون أول كارز بالقيامة.
١٧	٨٨	آدم وحواء يقيمهما المسيح من بين الأموات. أيقونة تعبر عن التقليد الأرثوذكسي الطقسي كما تردده التسبحة: [مضيت إلى الجحيم وأصعدت السبي من ذلك المكان]. [فتح باب الفردوس وردّ آدم إلى رئاسته مرة أخرى].

صورة الغلاف:

الإمبراطورة ثيئودورا

نموذج رائع لمستوى المرأة الروحي والإجتماعي

في القرون الأولى في المسيحية

الملكة ثيئودورا (٥٠٠-٥٤٧م) زوجة الإمبراطور جوستنيان الأول. تزوجها عام ٥٢٣م. وتُوِّجَت إمبراطورة عام ٥٢٧م.

مارست تأثيراً شديداً على المجادلات العقائدية السائدة بين الكنائس في ذلك العصر.

كانت متعاطفة مع الكنائس الأرثوذكسية الشرقية التي لم تعترف بمجمع خلقيدونية.

وبتأثيرها تبنَّى الإمبراطور جوستنيان سياستها الداعية إلى مصالحة هذة الكنائس مع الكنائس الأخرى التي اعترفت بمجمع خلقيدونية.

وكانت هذه الإمبراطورة مثقفة، ذات عقل راجح، تزعمت حركة إصلاح اجتماعي في الإمبراطورية آنذاك.

وهذه الصورة بالفسيفساء من الذهب والفضة والأحجار الكريمة، موجودة في كنيسة سان فيتالي في رافنّا بشمال إيطاليا.